الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 8ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Université de 8 mai 1945 Guelma
Faculté ; des lettres et des langues

الرقم: ..... N°=.....

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

(تخصص: أدب عربي جزائري)

فن الإجازة الجزائرية في العهد العثماني

(إجازات: عبد المؤمن الحسني الجزائري وقدورة وأحمد المقري)

– دراسة فنية جمالية –

مقدّمة من قبل: بإشراف الأستاذ:

الطالبة: العطرة بعارة عبد العزيز بومهرة

تاريخ المناقشة: 26 جوان 2018

اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
العايش سعدوني	أستاذ محاضر ب	رئيسا	جامعة 8 ماي1945 قالمة
عبد العزيز بومهرة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا	جامعة 8 ماي1945 قالمة
أحلام عثامنية	أستاذة مساعدة أ	ممتحنا	جامعة 8 ماي1945 قالمة

السنة الجامعية: 2018/2017

شكـــــر و تـقـديـــر

"وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ"

سورة يوسف – الآية 76.

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفصِيلِها بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

الإمام الشافعي

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم البشر وعلى آله وصحبه أجمعين .

حمدا لك يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ،أسجد لك يا رب شاكرا مزيد فضلك وعظيم نعمك على ما منحتني من تفكير وقوة وصبر حتى ظهر هذا العمل إلى حيز الوجود.

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر و العرفان للأستاذ المشرف **"عبد العزيز بومهرة"** لتفضله بالموافقة على الإشراف على مذكرتي .

وأقدم شكري و تقديري الخاص لكل من أسهم في هذا البحث وجعله يرى النور، فالشكر كثير ومن يستحقونه أكثر و أخصّ بذلك أساتذتي **"أحلام عثامنية"** و **"طرش علي"** اللذان لم يقصرا فإن قصدتهما لم يبخلا و إن سألتهما أجابا .

مـــقدّمـــة

مقدّمة:

كم هي متعددة الفنون التي تزخر بها الأمة العربية، فكل فن منها يروي حكاية لا تنتهي من التشويق في عوالم الأدب، فتجعل الذين يحاولون الولوج إلى هذا العالم يغوصون في بحر شاسع لا شاطئ له سوى محاولات لإخراج هذه الفنون إلى الوجود وجعلها قالبا يعيش معنا ويتضمّن كلامنا. والجزائر كغيرها من الدول تحذو هذا المسار في أن تقدم دراسات أدبية للنصوص القديمة في اتجاه أن تكون بحثا علميا يتخصّص في دراستها من خلال البحث والتنقيب عنها، ونفض الغبار عليها في محاولة تعزيز وجودها في المجال الثقافي، فتبرز للوجود وتحقّق ذاتها مع باقي الفنون، وهنا نخصّ بالذّكر فنًّا اقتحم ميدان الأدب إنّه "**الإجازات العلمية**"، والتي تُعدّ بحق أحد أهم أشكال الفن ، إذ تقدّم نفسها على أنّها أنموذج متميّز من خطاب كبير جدًا وقّع حضوره بسبب كثرته وتفرّقه في مظان العلماء الجزائريّين الذين لم يتوانوا لحظة في تدوينه، بل بذلوا قصارى جهدهم من أجل أن يُنحت في الذّاكرة الجزائريّة، والتي ترفض أن تكون مطمورة في غياهب النّسيان، وكان لهم ذلك بأن أسّسوا لهذا الفن ورسموا له معالمه التي جعلته يظهر للعيان، مما قدّم لنا المجال الخصب لدراسته. ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لموضوع هذه الدّراسة متمركزًا حول "**فنّ الإجازة الجزائريّة في العهد العثماني**" متّخذين من إجازة كلا من " **أبي عبد الله محمّد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري** " و"**أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن إبراهيم قدّورة**"، و" **أحمد المقري التلمساني**" – أحد أعلام كتاب الإجازة في القرن(11 و12هـ) – نماذجا، محاولين من خلالها رصد أبرز مميّزات العصر الذي وجدت فيه (العثماني) بالإضافة إلى إبراز العناصر الفنية التي توفّرت عليها.

وقد دعانا إلى اختيار هذا الموضوع سبب وجيه، وهو قلّة البحث في الأدب الجزائري القديم بصفة عامة، وندرة الإقبال على مثل هذه المواضيع والاهتمام بها جمعا وتحقيقا ودراسة وتحليلا خاصة، الأمر الذي جعلها لا تحظى بالمكانة اللائقة بين بقية المواضيع الأخرى حديثة كانت أو معاصرة، هادفين من وراء ذلك إلى محاولة اكتناه مضمونه والكشف عن أسراره وجلاء حقيقته وإظهار فحواه،

كما نروم من هذه الدراسة إلى كشف أدبيّة هذا الفنّ وما يحتويه من جماليّات تضاهي الجماليّات الّتي تحفل بها بقيّة الفنون الأخرى نثريّة كانت أو شعريّة.

ونحن بذلك لا ننكر أن دراستنا هذه سبقتنا إليها الدكتورة (**فوزية لزغم**) في دراستها الموسومة بـ "**الإجازات العلمية في الجزائر العثمانية**"، إلا أن الجدّة تأتي من حيث سلّطنا جميع جهودنا على أدبيّة هذا الفن المنشودة، وتفسير ظواهره الفنّية باتخاذ التطبيق إجراء أساسا في ذلك، وإذا كانت (**فوزية لزغم**) ركّزت في دراستها على الجانب النظري والتاريخي، فإننا تداركنا إضافة إلى ذلك دراسة هيكلية وفنيّة للإجازة، وضمن هذا الطرح احتكمنا إلى جملة من التساؤلات كونت إشكالية هذا البحث محاولينا الإجابة عنها وهي:

- فيم تكمن أدبية الإجازة ؟ وما الهيكل المعتمد في بنائها وتصميمها؟

ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي، كونه المنهج الأنسب لدّراسة مثل هذه المواضيع، فجاء بحثنا مكوّنًا من:

مدخل : ضمنّاه "**الأوضاع السّائدة في الجزائر خلال العهد العثماني**" (سيّاسيّة، اقتصاديّة اجتماعيّة ،ثقافيّة)، حيث عَرَّجْنا على ذكر أهم ما ميّز كل وضع على حدى وما أسفر عنه من نتائج إيجابية كانت أم سلبية، لتوضيح معالم الأرضية التي وُجد بها هذا الفن والظروف التي أدت إلى ظهوره ونشأته.

الفصل الأول: تعرضنا فيه إلى "**نظام الإجازة، تعريفها، أركانها، أنواعها، بنائها**"، والتعريف ببعض علماء العصر العثماني من الجزائريين، الذين نبغوا في هذه الفترة.

الفصل الثاني: في حين تناول هذا الفصل "**التشكيل الهيكلي لنظام الإجازة**"، والذي يتكون على التوالي من مقدمة – عرض ضم ثلاثة محاور: البناء التمهيدي – البناء الإستجازي – البناء الإجازي مع مخطط يوضح ذلك وخاتمة.

الفصل الثالث: فقد جاء تحت عنوان **"البناء الفني للإجازة"** حيث حاولنا من خلاله أن نبيّن أدبية وفنية فن الإجازة من خلال دراسة الإجازات المنتقاة دراسة فنية من حيث توفرها على محسنات بديعية (معنوية ولفظية) وصور بيانية (التشبيه – الاستعارة – الكناية).

الخاتمة: اِستخلصنا أهم النتائج التي تولدت عن الفصول الثلاثة ومحاولة الإجابة عن التساؤلات التي طرحناها في الإشكالية.

وقد اعتمدنا في ذلك على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها: **"رحلتي ابن زاكور والمقري"**، و**"الإجازات العلمية للمسلمين "** لـ: **"عبد الله فياض"** ، و **"الوجازة في الأثبات والإجازة"** لـ: **"ذياب سعد الغامدي"**، و **"فن الإجازة عند أحمد المقري"** لـ: **"فضيلة عماري"** .

وكما تقتضي طبيعة البحث ، واجهتنا العديد من الصعوبات ولعلّ أهمّها: جدّية الموضوع وندرة الدراسات التي درسَت الإجازات أدبيًا وإن وجدت فهي شحيحة، وما زاد تأزم الوضع ندرة المراجع حول هذا الموضوع، حينها تبيّنت لي حقيقة عزوف الباحثين عن دراسة مثل هذه المواضيع، فليس من السهل الإبحار في بحر مجهولة أعماقه.

وأخيرًا أتمنى أن يكون عملنا هذا إضافة لعلها تفيد الباحثين وتقرّب إليهم هذا الفنّ والجهود التي بُذِلت في سبيل الحصول عليه أو منحه ، دون أن ننسى التوجّه بأسمى معاني الشكر للأستاذ المشرف **"عبد العزيز بومهرة"** على إنارة دروبنا وسبل نجاحنا، وعلى جهوده وتوجيهاته وتصويباته، فنسأل الله له التوفيق، وإلى كل من ساعدني في إخراج هذا البحث.

مدخل:

أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني

- تمهيد

1/- الأوضاع السياسية

2/- الأوضاع الاقتصادية

3/- الأوضاع الاجتماعية

4/ الأوضاع الثقافية

تمهيد:

إذا أردنا التحدّث عن الأوضاع السّائدة خلال الحكم العثماني في الجزائر، فلابدّ أن نرجع بالذاكرة إلى أيام التدّخل العثماني في المغرب العربي، هذا التدخّل الذي كان أمرًا غير متوقّع، فالدولة العثمانية نفسها لم يخطر على بالها هذا الأمر، إضافة إلى أنّ هذا التدخل لم يكن لا من تخطيط ولا من تصميم أيادٍ عثمانية، بل إن الظروف الطاحنة آنذاك هي وحدها من حكمت بهذا الأمر، فبعد الغزوات المتكررة على سواحل شمال إفريقيا، وبالتحديد هجمات الإسبان على سواحل الجزائر، اِضطرّ سكانها إلى الاستنجاد بالإخوة (بربروس) للدفاع عنها، وإنقاذ المسلمين من سيطرة الإسبان واِستبدادهم، وإن كنا نتحدث عن الإخوة (بربروس) فنحن نقصد بذلك الجهود التي بذلها (عروج) حتى وفاته وأخيه (خير الدين) الذي تسلّم السلطة من بعده، أما عن توحيد الجزائر تحت مسمَّى واحدٍ، فقد كان نتيجة طلب هذا الأخير من السلطان العثماني آنذاك (سليم الأول) بمعيّة أهل الجزائر، الذين ساهموا في ذلك أيّما مساهمة – الانضواء تحت حكمه– فما كان منه إلا الاستجابة لهذا الطلب حتى يتمكنوا من التصدي للتدخّل الإسباني، وبعد أن استتب الأمر وساد الأمن واِستقرّت الأوضاع، أصبحت الجزائر تُحكَمُ كدولة كبرى حالها في ذلك مثل حال أية دولة أخرى مستقرّة سياسيًّا واِقتصاديًّا واِجتماعيّا وثقافيًّا. و عليه فلنلقي نظرة عن هذه الأوضاع آنذاك وبما تميّزت.

1/- الأوضاع السياسية:

لقد مرّت الجزائر بأربعة عصور تغير فيها لقب حاكمها ثلاث مرات، وهي على التوالي:

(أ)- **عصر البايلارباي**[1] [950-995هـ] الموافق لـ [1544-1587م].

(ب)- **عصر الباشلورات** [995-1069هـ] الموافق لـ [1587-1659م].

(ج)- **عصر الآغاوات** [1069-1081هـ] الموافق لـ [1659-1671م].

إن المتفحِّص لهذه العصور التاريخية والسياسية يرى أنّ لكلّ عصر منها ميّزته سماته الخاصة التي لا يسعنا في هذا المقام أن نتطرق لها بالتفصيل، كون كل واحد من هذه العصور يحتاج إلى وقفة لابأس بها للتحليل والمناقشة، لذلك اِرتأينا أن نذكرها فقط على سبيل التذكير لا على سبيل الخوض في مميزاتها وأهم التغيرات التي طرأت على كل عصر منها أو حتى أثناء اِنتقال الحكم من عصر إلى عصر آخر وكيف تمَّ ذلك[2].

وإذا قلنا أن الجزائر كانت تحت وطأة الحكم العثماني، فنحن لا نقصد بذلك "أن الأتراك كانوا يعاملون الجزائريين معاملة اِستعمارية مثلما فعلت فرنسا عند اِحتلالها للجزائر"[3]. وهذا بسبب مُسَلَّم به وهو أن العثمانيين عند دخولهم الجزائر وَلجُوهَا لغاية سلمية لا حربية اِستعمارية اِستغلالية – كما أشرنا في التمهيد – وقد كان الدّخول بطلب من حاكمها آنذاك بالإضافة إلى أهلها وسكانها، وهذا

[1] البايلا رباي باللغة التركية هو أمير الأمراء باللغة العربية وهو لقب يمنحه سلطان الدولة العثمانية لأمير مع كسوة شرف وتعظيم تسمى القفطان (بضم القاف وبفتحها وسكون الفاء) وجمعه قفاطن، وتحوّل لقب حاكم الجزائر وتبدّل على حسب العصور من باي إلى باشا ثم آغا ثم داي. انظر: نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى اِنتهاء العهد التركي)، دار الحضارة، الجزائر، (د.ط)، 2006، ص:76.

[2] للاستزادة انظر: المرجع نفسه، ص: 76-90.

[3] عموره عامر، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، القبة – الجزائر، ط1، 2002، ص:105.

ما سهَّل عليهم طرد القوات الإسبانية من الأراضي الجزائرية بفضل مساندتهم ودعمهم لهم لا كما يعتقد البعض بعكس ذلك.

الملاحظ لهذا العصر يجد أن العثمانيين وفي أثناء وجودهم بالجزائر، كان تركيزهم الأكثر على القوّة العسكرية والبحريّة، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يصف هذه الفترة من تاريخ الجزائر بالجمود الفكري، إلا بعض الأعمال التي كان لها الأثر الكبير في الحياة الثقافية – والتي سوف نتطرق إليها في حديثنا عن الأوضاع الثقافية – وهذا لسبب وجيه كون الجزائر وقتئذٍ كانت في أمس الحاجة للدعم العسكري والسياسي أكثر منه ثقافي، وهنا يجدر الإشارة إلى أمر لطالما نسبه المؤرخون للاستعمار الفرنسي الغاشم الذي طال الجزائر فيما بعد ألا وهو "أن فضل رسم الحدود الجزائرية الحالية وإختيار مدينة الجزائر عاصمة لها يرجع للعهد التركي، وهذا خلاف ما يدّعيه المستعمرون الفرنسيون عند إحتلالهم بأن الجزائر لم تكن أمة في يوم من الأيام، بل هي بلاد تسكنها مجموعة من القبائل المتناحرة والمتنافرة فيما بينهم"[1].

أمّا عن سبب التّناحر الذي أشار إليه المؤرخون في مختلف مؤلّفاتهم، فهو لا يبتعد عن كونه إضطراب بين الدولة الحاكمة والمحكومة، وهذا ليس وليد الساعة بل هو حال أي بلد أو دولة تعيش في كنف دولة أخرى، والأكثر من هذا فالتناحر يحدث حتى داخل الدولة المستقلة بذاتها، فأفرادها يتناحرون وسكانها يثورون خاصة إذا تعلّق الأمر بدفع الأموال الواجب تسديدها من طرفهم للجهات المختصة بذلك، ونقصد هنا الضرائب المفروضة عليهم، إلا أنه وعلى الرغم من هذا الأمر، فإن ذلك لم يشْفَعْ لها من إنتقادات البعض، غير أن ما يُحْسَبُ لها هو أنها إستطاعت وبفضل تدخلها الاستعجالي لإنقاذ الجزائر أن تؤخّر وتؤجّل التواجد الاستعماري الفرنسي بها لقرون من الزمن، وأمّا عن مدّة تواجدها الطويلة بالجزائر فيعود ذلك إلى عدالتها وإنصافها؛ أي عدم التفريق بين الفرد التركي والجزائري على جميع الأصعدة ماعدا في جانب الحكم، وذلك لأن الأتراك كانوا أكثر خبرة بأمور

[1] عموره عامر، مرجع سابق، ص:105.

السيّاسة من الجزائريين أنفسهم، ممّا جعلها تكتسب ثقة أهل الجزائر وسكّانها، وهذان الصفتان – العدالة والإنصاف – "اللّذان يُعَدّان أساسًا لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة. وعندما يتم التأثير على العقول فإن الأجسام تتبع بالطبع، وما الفتح الحقيقي إلا ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد"[1]؛ معناه أن الجزائريين لم يكونوا مُكرهين أو مُجبرين على فعل شيء من طرف الأتراك بل ونتيجة للاستحسان الذي لقوه في كنفهم رضوا بأن يضلوا على هذه الحالة مدة طويلة، ونحن بذلك لا ننفي وجود بعض الخلافات بينهم.

ومن هنا يمكن القول أن الجزائر طوال اِنضوائها تحت الحكم العثماني، ضمنت بذلك الاستقرار السياسي الأمني الذي ساد طيلة فترة الوجود العثماني بها، هذا الأمر دفعنا إلى التقصّي والبحث عن الأوضاع الاقتصادية غداة هذا الحكم، وهل كانت هي الأخرى مستقرة مثلما كانت الأوضاع السياسية باعتبارهما وجهين لعملة واحدة اِسمها **الحكم**، وأيّة مشكلة أو أزمة قد يواجهها يكون سببها الرئيس إحداهما، إضافة إلى جوانب أخرى سنطرق بابها في المقام الخاص بها.

2/– الأوضاع الاقتصادية:

هي الأخرى لا تقلّ أهمية عن الحياة السياسية في هذا العصر نظرًا للمنزلة التي تحتلها في بناء أي دولة بصفة خاصة أو بناء أي أمة بصفة عامة، لذلك كان من الضروري ضمان الجانب الاقتصادي حتى نستطيع الحكم على قيام دولة وتطوّرها ومن ثمة فقد "عرفت الحياة الاقتصادية الجزائرية مكانة لابأس بها، وكانت تسدُّ في أغلبيتها حاجيات السكان"[2]؛ بمعنى أنها لم تكن تعاني نَقْصًا يجبرها على البحث عمَّا يسدّه خارج أطوار البلاد، حتى وإن كان اكتفاؤها بسيطًا بدائيًا، " فلم تكن الصناعة متطورة بالمفهوم الحالي، فارتكزت على الصناعات اليدوية مثل صناعة النسيج والأحذية

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، (د، ط)، 2005، ص:74.

[2] عموره عامر، مرجع سابق، ص:105.

والدباغة والسّروج والخشب والزجاج ومواد البناء والسفن والخزف والسلاح والبارود والمواد الغذائية إلخ. هذا بالإضافة إلى صيد السمك"[1].

ولو تأمّلنا هنا بتدقيق أكثر لوجدنا أن الجمهورية العثمانية[2] الجزائرية كانت تعتمد على المنتوج المحلي بصورة كبيرة في تلبية حاجيات سكانها ما يقارب 80%، وهذا يقودنا مباشرة إلى القول بأنها مكتفية ذاتيًا، وما الاكتفاء الذاتي إلا وليد مجهودات جبارة كان يقوم بها السكان في ذلك الوقت حتى يستطيعوا أن ينتجوا ما يكفي لذلك، ولعل أكبر المدن التي اِرتكزت فيها "جلّ النشاطات الاقتصادية هي الجزائر والمدية ووهران وتلمسان وقسنطينة وعنابة إلخ"[3]، و اِرتكاز مختلف النشاطات الاقتصادية فيها دون سواها يعود أولاً كون معظمها مدن ساحلية؛ الأمر الذي يسَهّل على رقعتها ممارسة معظم النشاطات البحرية كالصيد مثلاً، وثانيًا لأنها محل للتبادل التجاري مع الدول المجاورة لها كتونس والمغرب الشقيقتين. وقد يسأل سائل: من أين للجزائر هذا التنّوع في الحرف؟ وهي التي كانت بالأمس تشكو ويلات الغزو الإسباني؛ الإجابة تكمن في أنّ من كان لها الفضل الكبير في ذلك هي "الهجرة الأندلسية[4] التي لعبت بالجزائر دورًا إيجابيًا في تحريك النمو الاقتصادي، فقد جلبوا معهم العديد من الحرف المتطوّرة في ذلك الوقت سواء في الميدان العمراني الفلاحي أو الصناعي"[5]. هذا عن التنوع الحرفي الذي خيَّم على الحياة الاقتصادية والذي عرفنا أن مرجعه كان في بادئ الأمر هجرة الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية هربًا من الحملات الصليبية التي طالت الأندلس آنذاك، بالإضافة إلى حركة المد والجزر التي عرفتها التجارة الجزائرية تداولاً مع دول المغرب العربي، ونخص بالذكر هنا

[1] عموره عامر، مرجع سابق ، ص:105.

[2] انظر: أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، (د، ط)، 1956، ص: 73.

[3] عموره عامر، مرجع سابق، ص:106.

[4] اِرتقت بوجود المهاجرين الأندلسيين في الجزائر العمارة وصناعة الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتاب. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي [1500-1830]، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط1، 1998، ص: 148.

[5] عموره عامر، مرجع سابق، ص:106.

(تونس) و(المغرب) – كما أشرنا من قبل – باعتبار أن كل واحدة من هذه الدول الثلاثة كانت تكمّل الأخرى اِقتصاديًا، حيث "كان هناك تجار مغاربة في الغرب الجزائري، كما كان هناك تجار تونسيون في الشرق ومن ناحية أخرى كان هناك تجار جزائريون في كل من تونس والمغرب"[1]، ناهيك عن تسويق كل بلد لمنتوجات البلد الآخر، وتزويده بما يحتاجه من سلع ومواد رئيسة، وهذا دليل كافٍ على التعاون وتعميم الفائدة على الجميع، وقد تعدى التبادل في هذه المرحلة – تبادل المنتوجات- إلى مرحلة تبادل الخبَرات والمتمثلة أساسًا في تعلّم الحرف وتعليمها لحِرَفِيْ الدول المجاورة لها. إلا أن هذا التطور الاقتصادي لم يدمْ طويلاً، فسرعان ما عرف اِنتكاسة طالت حتى الحياة الاجتماعية والثقافية فيما بعد باعتبار أن كل حياة هي متصلة بالحياة الأخرى ، فما إن يسوء وضع إحداها حتى ينعكس ذلك سلبًا على الأخرى – في أغلب الأحيان، ويمكن تلخيص هذه الانتكاسة التي ضربت الاقتصاد الجزائري وأثقلت كاهله بقوة في ذلك العهد في أن السوق الجزائرية لم تعرف اِتصالاً مع أسواق خارجية غير تونس والمغرب وإن وجدت فهي قليلة ، ومن ثمّ لم تعزز وجودها اِقتصاديًا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى "فحتى الأرباح الضخمة التي كانت تدرّها التجارة الخارجية، فقد كانت تذهب في معظمها إلى التجار اليهود[2] وإلى كبار الموظَّفين والضباط والأتراك الذين لم يكن يهمّهم تطوير وسائل الإنتاج وتجديدها، بقدر ما كان يهمّهم تكديس الثروات"[3]. كل هذه العوامل وغيرها ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تدنِّي الوضع الاقتصادي وتراجعه شيئًا فشيئًا، وحال دون تقدّمه.

[1] عموره عامر، مرجع سابق، ص:106.

[2] بالرغم من وجود عدة فئات أجنبية مسيحية فإن الجماعة النشيطة التي اِرتفع شأنها في الجزائر هي جماعة اليهود لأن اليهود كانوا يتعاملون مع الداي وقادة الجيش (الرّياس) ويقومون بشراء وبيع البضائع أو الغنائم التي يحصل عليها رجال الجيش. انظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (د، ط)، 1997 ص:75.

[3] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، بدران وشركاؤه، بيروت – لبنان، (د، ط)، 1964، ص:309.

لا شك أنّ أيّ خطب يمسُّ جانب من جوانب دولة ما إلا ويلحق الجانب الآخر الضَّرَرَ. لنرى هل مَسَّ هذا التدهور الذي آل إليه الوضع الاقتصادي في الجزائر العثمانية الحياة الاجتماعية أو قد حصل خلاف ذلك؟.

3/- الأوضاع الاجتماعية:

إن الأوضاع الاجتماعية للجزائر العثمانية كانت أفضل حال من الأوضاع الاقتصادية بعد تدهورها وتدنيها، لأنه وكما أشرنا سابقًا ونعود ونذكّر بأن التواجد العثماني بالجزائر لم يكن لغرض النهب وإستنزاف ثرواتها ولا بدافع الاستعمار والاستبداد بل على العكس من ذلك فقد كان من أجل إنقاذ وتخليص الجزائر والجزائريين من سطوة الغزو الإسباني، كل هذا جعل من المجتمع الجزائري العثماني مجتمعًا مُمَيَّزًا عن غيره من المجتمعات الأخرى في وقته ذاك، الأمر الذي جعله ينفرد بخاصّية التنوع السكاني والعرقي والجنسي وكذلك العقائدي، وهذا ما سنكتشفه من خلال إبراز مكوّنات المجتمع الجزائري كلاً على حدى. فقد كان المجتمع الجزائري متكونًا من:

- **الأتراك**: وهم من الطبقة الحاكمة، التي تُسْنَدُ إليها أهم المسؤوليات، وتضّم في صفوفها الموظّفين الساميّين من السياسيين والإداريين والجنود.

- **الكراغلة**: وهم المولودين من أب إنكشاري (عثماني) وأم جزائرية.

- **السكان الأصليون الجزائريون**: وهم المالكين الأصليين للجزائر.

- **السّود والحضر الوافدين من الأندلس**: أمّا السّود فهم الزّنوج القادمين من جنوب إفريقيا كالعبيد والرق، والحضر هم المهاجرين الأندلسيين الفارّين من ويلات الحملات الصليبية وتوطّنوا بالجزائر[1].

[1] للاستزادة انظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص: 143.

– **الأقلِّية اليهودية:** هي الجماعات اليهودية التي استوطنت بالجزائر وعاشت بها قبل حتى التواجد العثماني.

إنّنا لو أمعنّا النّظر في هذه الطبقات التي كوّنت المجتمع الجزائري وجدناها تختلف تمام الاختلاف عن بعضها البعض سواء كان ذلك على مستوى الجنس أو الدين أو حتى الطبقة في حد ذاتها، إلا أن ذلك لم يشكّل فرقًا لديهم، ما داموا يعيشون فوق رقعة جغرافية واحدة إِسمها (الجزائر) وما يدلّ على إرتباطهم الوثيق ببعضهم البعض وقوفهم الند للند للبحث عن سبل أخرى للنهوض بالاقتصاد الوطني متجاهلين في ذلك كل الأسباب التي من شأنها أن ترمي بهم في أحضان الميز العنصري كالعامل العرقي أو حتى العقائدي، وهنا لابد من رفع لُبْسٍ" كثيرًا ما إِغتنمه المؤرخون المغرضون للدّس على الإسلام. فالحياة والرفاهية في المدن لم تكن تختلف باختلاف الدّين أو الوضع الاجتماعي؛ أي لم يكن هناك تميُّز ديني أو عرقي"[1]، وهذا يدل في حقيقة الأمر على شيء واحد دون سواه وهو أنهم كانوا متعايشين سلميًّا رغم اختلاف أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعراقهم وحتى دياناتهم، ليكوّنوا بذبلك مجتمعا صحيح أنه إِختلفت فيه الأصول لكن تشابهت فيه النوايا والمنفعة. كانت هذه أهم النقاط التي ميّزت الأوضاع الاجتماعية لنمر بعدها إلى الحياة والأوضاع الثقافية ولنتبيَّن هل عرفت هي الأخرى إِزدهارًا في هذا العهد ورسمت لنفسها طريقًا مازالت آثاره شاهدة على ذلك؟ والذي سيكون له نصيب الأسد مقارنة بالأوضاع السابقة لأن دراستنا سترتكز أساسًا على هذا الجانب، ولذلك سنعنيه باهتمام أكثر وتحليل وتفصيل أدق.

4/– الأوضاع الثقافية:

قبل أن نشرعَ في عرض أهم ما ميّز هذا الجانب من جوانب هذا العهد رأينا أن نشير أولاً وقبل كل شيء إلى أن الدّولة وحَتَّى تُبْنَى على أساسٍ مُحْكَمٍ ومتينٍ لابدّ أن تتكاثف جميع القطاعات وتتّحد فيما يصبّ في مصلحة جانب منفرد يتربّع على عرش الجوانب الأخرى، وبانعدامه تنعدم الحياة

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص: 316.

الفنية والأدبية داخل أي رقعة جغرافية؛ كونها أحد ركائز نهوض الأمم وانحطاطها، بل والأكثر من ذلك تُعَدُّ معيارًا من معايير تصنيف الدول والشعوب، فـ"تاريخ الأمم لا يُبْنَى فقط من طرف السياسة وإنما يشترك فيه الشعب كلّه باعتباره هو صانعه الحقيقي، ولا يمكن أن يكون إيجابيا إلا إذا كان مثقفوه هم محرّكوا المجتمع وقدوته"[1]؛ ولقد أدى الجانب الديني دورًا بارزًا في تأسيس ثقافة الشعب الجزائري في هذه الفترة – العصر العثماني – حيث أن لكل طبقة من الطبقات المصنفة سالفًا ديانة أو مذهبًا خاصًّا تسلكه وتَتَمثَّلُ تعاليمه وهي كالآتي:

– **الإسلام**: يمثل المسلمون 99% من السكّان منقسمين على نوعين من المذاهب:

* **المذهب المالكي**: أغلبية السكان الجزائريين المسلمين اِعتنقوا هذا المذهب.

* **المذهب الحنفي**: جعل الأتراك و الكراغلة وبعض الحضر هذا المذهب منهجهم.

– **الديانة اليهودية**: لا يتعدى "معتنقوها في الجزائر 1%" من مجموع السكّان، لها معابدها وكنائسها الخاصة، تمارس فيها شعائرهم الدينية بكل حرية، كما تمتلك مدارسًا تعلم فيها اللغة العبرية والتوراة"[2].

وفي مقابل الكنائس المسيحية نجد "المدارس الدينية يُعَلَّم فيها القرآن والعلوم الإسلامية"[3].

إنّ هذا التنوع الديني والمذهبي لم يهدّد أمن الجزائر ولا اِستقرارها ولا حتى ثقافتها ولو بالنَّزر اليّسِير، ومردُّ ذلك لا محال هو وجود إيمان قوي من طرف فئاتها واِقتناعهم بأن تواجدهم فوق أرض مشتركة كفيل بأن يجمع شملهم غير مبالين في ذلك بجميع الفروقات التي ولّدتها الظروف الطبيعية للدولة آنذاك، ولعل ما ساهم في النهوض بالحياة الثقافية إضافة إلى ما ذكرنا في هذا العصر وتعدى بذلك ليصل حتى الميدان الاقتصادي والاجتماعي، هو تلك الحصانة المتفرّدة التي كانت تتمتع بها موارد الأوقاف، والتي اِستطاعت بفضلها وبفضل المكانة التي خصَّها بها الإسلام والمسلمون، كونهم

[1] عموره عامر، مرجع سابق، ص: 3،4.

[2] المرجع نفسه، ص: 109.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

كانوا أكثر عددًا، لا لشيء لأن الإسلام كان دستورهم ومرجعهم الوحيد لا غير، هذا ما جعل حتى الحكّام مع اِختلاف رُتَبهم يحسبون لها ألف حساب قبل المساس بمواردها، وقد كان لها الفضل في اِنتشار التعليم في مختلف أنحاء الجزائر بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، وهذا ما شهد عليه الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر"[1]، وذلك مفاده الاستراتيجية التي اعتمدتها في التدريس والتي سنحاول تقسيمها إلى مراحل حسب ما جاء في بعض المراجع كالآتي:

- **المرحلة الأولى:** يدرّس فيها الصّغار القراءة والكتابة وحفظ القرآن.

- **المرحلة الثانية:** وتكون بالانتقال إلى المعاهد بعد تجاوز المرحلة الأولى حيث يدرسون العلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والميتافيزيقيا والحساب وعلم الفلك وعلم الجداول وتحديد مواقيت الصلاة ثم الطب والرّسم والزّخرفة والمخطوطات.

- **المرحلة الثالثة:** وهذه المرحلة تأتي بعد أن يصل الطلبة إلى مستوى معيّن يمكّنهم من الرّحيل بمفردهم إلى خارج الجزائر لاستكمال تعليمهم كـ (القاهرة) أو (المشرق).

وهذا ما سنحاول التركيز عليه في دراستنا مخصّصين له فصلاً يُعنى بهذه الجزئية، وعليه سنؤجل الحديث عنه إلى وقت لاحق.

إنّه وعلى الرغم ما تخلّل هذا التعليم من منطق وميتافيزيقيا وحساب وعلم الفلك أو بالأحرى علومًا خارج إطار الدّين والفقه، إلا أنه لا يمكن مقارنته بما عرفته الجزائر خلال العهدين الحمّادي والزيّاني، الذي كانت فيه الجزائر في أوجّ قوّتها الثقافية، وما يدل على ذلك بروز أسماء لامعة في سماء العلم والمعرفة، وإن كان البعض منهم لابُّد من نَفْضِ الغبار عنه حتى يظهر للعيان، وقد أرجع البعض سبب ذلك- افتقار الحياة الثقافية- إلى أن الأتراك حينها كان همّهم الوحيد هو التركيز على الجانب العسكري ودعمه؛ بمعنى لو وقتها عُرض عليهم كلاّ من الجانب الثقافي والعسكري والسياسي، كان الأَوْلَى لهم أن يختاروا الجانب العسكري، لأنّه الجانب الذي هم في أمس الحاجة إليه حتى تُبْقِي على

[1] عموره عامر، مرجع سابق، ص:109.

نفسها وتحمي كيانها من كيْد الأعداء ومن يتربصّون بها وبالجزائر شرًّا، و"هذا ما خلق جوهرة بين المسلمين والأوروبيين وحال دون اِطّلاع الجزائريين على ما كان يجري في أوروبا من اِختراعات وتطوّرات تقنية"[1]. ومن ثمة نستطيع القول أن الأتراك كانوا رجال سلاح لا رجال علم وفقه، وتركيزهم كان مُنصبًّا على توسيع نفوذهم واِمتداد سلطانهم على أكبر مساحة ممكنة، واِستحواذها على أغلب الرقع الجغرافية، وبالتالي غُلِّبَ الجانب السياسي الاقتصادي على حساب الجانب العلمي الإبداعي الأمر الذي جعل هذا العصر يتَّسمُ بـ الجمود الفكري[2]؛ حيث اِعتكف العلماء المتعلِّمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبًا أو حتى تغييبه في مسائل يكون حلّها عقليًا (منطقيًا) لا نقليًا – وهذا مما أُعيب عليهم – قال أحد علماء ذلك العصر في هذا الصدد، وهو(عبد القادر الراشدي) له تأليف في علم الاجتهاد والأصول:(الخفيف)

خَـــبِّرَا عَـــنِّي الـــمَسْؤُولَ بِـــأَنِّي كَـــافِرٌ بِالَّـــذِي قَضَـــتْهُ العُقُـــولُ

مَـا قَضَـتْهُ العُقُـولُ لَـيْسَ مِـنَ الدِّيـ ـنِ إِنَّمَـا الـدِّينُ مَـا حَوَتْـهُ النُّقُـولُ"[3]

وما يضاف إلى ذلك هو اِنتشار الطرق الصوفية آنذاك والتي يعود سرّ اِنتشارها إلى شدّة نفوذ المرابطين من قبل واِنتشار الوَلاَيَة لتنتشر معها الزوايا كيف لا وهي مَحَلُّ الوَلاية والتصوّف والزهد، كما اِنتشر إضافة إلى ذلك الكتاتيب القرآنية، "فبفضل الزوايا في ذلك العهد وبفضل الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في المدن والقرى اِنتشارًا لا نظير له وبفضل الدروس التي يقوم بها علماء أعلام في أغلب المساجد بكل المدن الجزائرية، اِنتشر العلم بين الطبقات الراقية وقَلَّت الأمّية بين الطبقات الوسطى

---

[1] مورة عامر، مرجع سابق، ص:109.

[2] عُرِف العهد العثماني بالركود الثقافي شأنه في بقية البلاد العربية، فلم تكن هناك حركات تجديد فكرية ولا اِنتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوروبية. ورغم أن العربية ظلت لغة التعليم ولغة الشعب فإن الدولة قد اتخذت التركية لغة رسمية – ومن جهة أخرى سيطرت اللغة الخليط (لغة الفرانكا) على التبادل التجاري. فكان إنتاج اللغة العربية يكاد ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليل من الشعر. انظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، ط3، 1990، ص: 159.

[3] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر مكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والغاية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص: 90.

والعامة"[1]. ومن هنا فنحن لا ننكر مساهمة الزوايا والكتاتيب في القضاء على الأمية ورفع حُجَبِ الجهل والظلمات إلى نور المعرفة، حتى وإن كانت هذه المساهمة حُسِبَتْ عليها لا لها، باعتبارها جعلتِ العقول متحّجرة راضخة ومتقيّدة إلا بما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية وما يتعلق بهما دون أن تهتم بالعلوم الأخرى والتي كانت سببًا في تقدّم من كانوا دوننا من الدول علمًا ومعرفة وحضارة –كما ذكرنا من قبل – .

وعليه يمكن اِعتبار أن التعليم في هذا العهد كان دينيًا بامتياز، حيث "كانت الدراسة التي تحدّثنا عنها تعمل على إخراج موظفين مختصّين في المجال الديني والكتابة من غير أن تعمل على إخراج مفكرين وأدباء، إلا أنّنا إن عدنا بالذاكرة قليلا إلى الوراء، نلمس بعض المحاولات المعترف بها ، والتي على الرغم من قلّتها وندرتها اِستطاعت أن تخلّد اِسمها بأحرف من ذهب في سجل عصر حُكِمَ عليه بالانحطاط وتدنّي مستوى الحياة الثقافية فيه، فأبوا إلا أن يكونوا مِمَّن يشار إليهم بالبنان في وقتهم ويحفظون لهذا العصر ماء وجهه من بعد، مخصّصين لهم جزئية للتعريف بهم بما يتناسب ومقامهم في هذا الشأن.

[1] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص: 90.

الفصل الأول:

نظام الإجازة: أركانها، أنواعها، بناؤها

توطئة

1/- تعريف الإجازة

(أ)- لغة

(ب)- اِصطلاحا

2/- أركان الإجازة وشروطها

3/- أنواع الإجازات

4/- هيكل الإجازة وبناؤها

(أ)- المقدمة

(ب)- العرض

(ج)- الخاتمة

5/- بعض علماء العصر العثماني من الجزائريين

توطئة:

من أعظم ما اِعتنى به المسلمون في رحلاتهم وتنقّلاتهم داخل العالم الإسلامي، أو حتّى في أثناء ذهابهم لأداء فريضة الحجّ تبادل **الإجازات** التي شكّلت بحقٍ واحدة من أبرز حلقات الاتّصال والتّواصل بين علماء العالم الإسلامي وتلاميذهم، وبين من قبلهم من علماء الماضي حتى البعيد منهم، فيروي بعضهم عن بعض الكتب والرّوايات حتى تصل أسانيدهم إلى مؤلّفي أمَّات الكتب والمصادر في جميع الفنون ضَبْطًا وإتْقانًا، ولكن موضوع "الإجازة" لا يخلو من صعوبة في تغطية كل تشعّباته وتفرّعاته وما أكثرها وسنحاول في هذا الفصل الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلّقة بمفهوم الإجازة، أركانها وشروطها، أنواعها وهيكلها وبنائها، وما مدى حضور العلماء الجزائريين في هذا المجال من حيث إجازتهم لبعضهم وإجازتهم لغيرهم من العالم الإسلامي وطلبهم إجازة غيرهم من العلماء المسلمين لهم، مركّزين في كل ذلك على الفترة العثمانية.

عرف مصطلح الإجازة العلمية تطوّرًا كبيرًا حتّى أنّه يصعب تحديد تعريف شامل مانع له ولكن ذلك لا يمنع من تتبّع دلالاته والبحث في كيفيّة اِستعمالاته.

1/– تعريف الإجازة:

(أ)– **لغة:** الإجازة لغة مصدر فعل "أَجَازَ" وله عدة معانٍ كما تبرزه معاجم اللغة العربية وفيما يلي بعضها:

– قال الفيروز آبادي في القاموس: "وِاسْتَجَازَ: طَلَبَ الإِجَازَةَ، أَيْ الإِذْنُ"[1].

– وقال أحمد بن فارس: "وَالجَوَازُ: المَاءُ الّذِي يُسْقَاهُ الماءُ مِنَ المَاشِيَّةِ والحَرْثِ، يُقَالُ مِنْهُ اِسْتَجَزْتُ فُلاَنًا فَأَجَازَنِي، إِذَا أَسْقَاكَ مَاءً لِأَرْضِكَ، أَوْ مَاشِيَتَكَ"[2].

– "الإِجَازَةُ، لُغَةً، إِعْطَاءُ الإِذْنِ"[3].

إنّ هذه التعاريف اللغوية للإجازة لا تخرج عن كونها طلب الإذن والإباحة فيما طُلِبَ والرّضى والموافقة على ذلك، ولو رجعنا إلى قواميس اللّغة لوجدناها تدور حول معنى الإذن المطلق ولا تخرج عن هذا المعنى وهو نفسه الذي لمسناه في المعنى الاصطلاحي.

[1] مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح : مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 2005، ص: 506.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (جَوَز)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د، ط)، 1979، ص: 494.

[3] عبد الله فيّاض، الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد – العراق، ط1، 1967، ص: 21.

(ب)– اِصطلاحًا:

أمّا التعريف الاصطلاحي لكلمة **إجازة** فهو:

– "إذن المحدِّث للطّالب أن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيرها، من غير أن يسمع منه أو يقرأ عليه، وهذا أصل معناه عند الاطلاق!"[1].

– قال اِبن صلاح: "وعليه ينطبق الاصطلاح – أي **الإجازة** – فإنّها: إِذْنٌ في الرّواية لفظًا أو كتبًا، تفيدُ الإخبار الإجمالي عُرْفًا"[2]؛ أي هذا الذي تعارف عليه أهل الحديث وتواضعوا عليه بالإجمال.

بناءً على ما جاء في التعريفين تكون صورة **الإجازة** كما يلي: هي إِذْنُ الشّيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلّفاته ولو لم يسمعها منه مباشرة، أو لم يقرأها عليه. وهو الرّأي نفسه الذي ذهب إليه عبد الله فيّاض حيث قال: "ويبدو مما سبق أن **الإجازة**، إِذْنٌ ورخصة تتضمّن المادّة العلميّة الصّادرة من أجلها، يمنحها الشّيخ لمن يُبِيحُ له رواية المادّة المذكورة فيها عنه"[3]، بالإضافة إلى أنّها "إحدى طرق التحمّل والرّواية عند المحدثين من أهل العلم، لذا تنوّعت في معناها وأدائها باعتبارات لا تخرجها عن معنى تحمّل العلم عن الشيوخ في الجملة"[4].

وعليه فإن الدّلالة الاصطلاحية لكلمة "**إجازة**" لا تبتعد كثيرًا في بادئ الأمر عن كونها **إذن وتسويغ** في السّماع والرّواية لفظًا وكتابة – كما هو عند أهل الحديث؛ ذلك لأن سماع الحديث يقتضي عند المحدّثين **إعطاء الإذن** لسامعه وحافظه وراويه حقّ رواية وفق الشّروط المنصوص عليها والتي سنأتي على ذكرها لاحقًا– وهنا يشترك التعريف اللغوي مع الاصطلاحي **للإجازة** – إلاّ أنّها قد

---

[1] ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، الوجازة في الأثبات والإجازة، دار قرطبة ، بيروت–لبنان، ط1، 1428هـ، ص: 21.

[2] شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (الشافعي)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دراسة وتح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخُضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فَهَيْد، مج2، مكتبة دار المنهاج، الرياض – السعودية، ط1، 1426هـ، ص: 389.

[3] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص:4.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

تخرج عن هذا المعنى إلى معنى آخر ألا وهو "الشهادة" والذي يتوافق مع ما يتطلّبه العصر ويتلاءم والمدلول المعمول به في عصرنا الحالي أو قبله بقليل، ونحن هنا نقصد **الشّهادة العلمية أو الدّيبلوم** – كما يحلو للبعض تسميته – ومنه فالإ**جازة** بهذا المفهوم "لم تكن تُمْنَحُ إلا لمؤهّل متقن، فهي شهادة من المجيز للمجاز بإجادة القراءة، وضبط الرّواية، وعلى هذا لم تكن تُمْنَحُ **الإجازة** إلا بعد ختم القرآن كلّه وفق رواية واحدة أو روايات عدّة ولكن البعض أجاز للمتقنين قبل الختم"[1]، ومن ثمّة فقد وجدنا أثناء تقصّينا عن موضوع **الإجازة** هناك من جعل لها شروطًا لمنحها وإباحتها من الشّيخ لطالبها منها:

– "إجازة الشيخ الطالب بعد السّماع من الشيخ مباشرة، أو من غيره، وهو ما يُسمَّى عند المحدّثين: **سَمَاعًا**.

– إجازة الشيخ الطالب بعد قراءة الطَّالب على الشيخ، وهو ما يسمّى: **عَرْضًا**.

– إجازة الشيخ الطالب مع مناولة الكتاب للطالب ولفظهُ أن يقول : أَجَزْتُكَ أو أَجَزْتُ أن تروي عَنّي هذا الكتاب، أو هذا الثَّبَتُ[2]، "**سواء كان من تأليفه أو من غيره ممّا له فيه سَنَدٌ[3] صحيح** فيروي الطالب عنه ذلك من غير أن يسمعه منه أو يقرأه عليه بمعناها العام – فإنْ سمعه منه، أو قرأه عليه فدرجته كمال وفضل لا شرط كما يدّعيه بعضهم"[4]. إنّ هذه الشروط تختلف من شيخ لآخر، كلّ حسب وجهة نظره أو طريقته المعتمدة في منح **الإجازة** أو الحصول عليها، وهذا ممّا جاد به أهل الحديث وخاصته، فهناك من يمنحها **سماعيًا**؛ أي الشيخ يقرأ والتلميذ يسمّع للمطلوب **الإجازة** فيه

[1] محمد الجرمي، معجم علوم القرآن: علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات، دار القلم، دمشق – سوريا، ط1، 2001، ص: 13.

[2] الثَّبَتُ (بالفتح): وهو ما يُثْبِتُ فيه المحدِّثُ مسموعاته، مع أسماء المشاركين له فيه، لأنه كالحجّة عند الشخص لسماعه، وسماع غيره. انظر: ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي ، مصدر سابق، ص:25.

[3] السند: هو تسمية مسلسلة تُسْرَدُ ضمنها أسماء من حمّلَ عنهم هذا العلم المُسْنَدُ. وهو أبلغ من الإجازة لكونه يشمل الإجازة والسند، أما الإجازة فقد تكون قاصرة على لفظ الإجازة من غير ذكر السند فلذا يكون السّند أشمل. انظر: ياسر إبراهيم المزروعي، التبيان لمن طلب إجازة القرآن، تقريظ عبد الحكيم عبد اللطيف، عبد الله الأزهري، تق: محمد نعيم الرّغبي، مكتبة المنار الإسلاميّة، القاهرة – مصر، ط1، 2003، ص: 41.

[4] ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي ، مصدر سابق، ص: 21.

سندا كان أو ثَبْتًا أو مؤلَّفا، وهذه الطّريقة هي أشهر طريقة معمول بها عند أهل الحَديث، فما إن يسمعه حَتَّى يُجيزه مباشرة، وهناك منْ يعتمد طريقة **العَرْض** فقط؛ أي الطالب يقرأ والشيخ يسمع ويُصَحِّح إذا كان هناك خَطئًا، فما إن يتمَّ العرض سليمًا صحيحًا خال من الأخطاء يمنحه **الإجازة** على ما قرأه عليه وفي حضرته، أمّا عن النّوع الثّالث فالشّيخ يجيز طالبه بعد أن يناوله الكتاب الذي أجازه فيه مصحوبًا بلفظ **الإجازة**، وفي الشّروط الثلاثة لا يشترط أن يكون مراد **الإجازة** فيه من تأليف الشيخ بل يمكن ذلك حتى وإن كان لغيره، أمَّا عن سرّ اِهتمام أهل الحديث بهذا الفنّ (**الإجازة**) لفظًا ومعنًى فيعود إلى "الحفاظ على الإسناد واِتصاله، وتسلسل رجاله، والانتساب لكتب السنّة وغيرها، فكانت معيارًا لذلك، وعنوانًا على الطبقات واللّقى والمعاصرة في غيرها من تحاسين الرّواية وأفانين **الإجازة**"[1]، ومن هنا كان الأولى لها أن تحظى بعناية أصحابها باعتبارها تضمن تناقل الحديث وعلوم الفقه والأصول وتحرص على تداولها وإنتقالها من الشيوخ إلى طلاّبهم. و من هنا يتّضح أن **الإجازة** تقليد إسلامي مَحْض، تبنّاهُ شيوخ وعلماء المسلمين، خاصة في علم الحديث، وقد كان لهذا التّقليد الفضل الكبير في حماية الموروث الثّقافي لعدّة قرون في ظلّ غياب الكثير من وسائل الحفظ والتّوثيق.

ويمكن أن يمنح الشيخ هذه الإجازة لطالبها بثلاث كيفيات:

(أ)– **إجازة تحريرية**: وهي إجازة مكتوبة بعيدة كل البعد عن الكتب التي قام بدراستها الشيخ، وقد تكون طويلة أو متوسطة أو قصيرة، وفي هذه الحالة لا يمكن اعتبارها لا كتابا ولا رسالة.

(ب)– **إجازة شفاهية**: هذه الإجازة قليلة ونادرة جدا على الرغم من قِدَمِهَا، وهي غير معتمدة بين أطياف المجيزين والمجازين نظرا لصعوبة إثباتها.

(ج)– **إجازة في قسمين**: بالمشافهة أولا وتحريرية ثانيها، أي جمعت بين الكيفية الأولى والثانية.

وهناك أصناف كثيرة أخرى من الإجازات نكتفي بذكرها فقط وهي:

[1] ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي ، مصدر سابق، ص: 22.

- الإجازة في الشِّعر تعني أن تُتِمَّ مصراع غيرك، أي تَرُدَّ على بيته ويتواصل الأمر كذلك.
- الإجازة الصوفية هي الإذن من شيخ الطريقة لمريده بالخلافة أو تلقين أوراده...
- الإجازة الأدبية وتُطْلَقُ على الإجازة التي تكون المادّة المجاز بها في الأدب العربي.

وعليه فكيفية منح **الإجازة** يكون حسب العلم الذي بذل فيه صاحبه مجهودات في تحصيله وما نيله **الإجازة** فيه إلا دليل قاطع على أهليّته واِسْتواءِ عُودِه وثبات أقدامه عليه، ولو تمكّن الطالب من بلوغ درجة في العلم ولم يُجَاز فيه، فليس في ذلك حرج بل يكفيه شرف تحصيله العلم في حد ذاته، لكن أين يكمن الخلل عندما يَحدثُ عكس ذلك، حينما يجاز من ليس له علاقة بالعلم الذي جُوزِيَ فيه لا من قريب ولا من بعيد، وهذا الرّأي يقودنا بطبيعة الحال إلى معرفة أركان الإجازة أولاً فالوقوف على شروط كلّ ركن من أركانها ثانيًا.

2/- أركان الإجازة وشروطها:

هنالك ثلاثة أركان **للإجازة** والتي لا يستقيم أحدها دون الركنين الآخرين وهي:

- المجيز (الشيخ).
- المجاز له (الطالب، التلميذ).
- المجاز به (المصنّف، المؤلَّف) ولفظ الإجازة (الصيغة).

ولكلّ ركن من أركان **الإجازة** شروطه وآدابه وهي كالآتي على التوالي:

(أ)- **المجيز**: لابدَّ أن يتوفّر الشيخ المجيز على هذه الشروط والآداب حتى يجوز أخذ **الإجازة** عنه وهذه أهمّها:

- **الإخلاص**: وهو أن يقصد بذلك مرضاة الله تعالى، ولا يقصدُ به توصّلً إلى غرض الدنيا، من مال أوجاه أو غير ذلك.

- "**الحذر من مقصدة، التكثر بكثره طلابه**"[1]؛ أي يكون همّه الوحيد إقبال عدد كبير من طلبة العلم على مجلسه لا غير.
- "**الحذر من كراهته قراءة طلاّبه على غيره مِمَّن يُنْتَفَعُ به**"[2]، بمعنى أن هناك من القُرّاء من يُحبّذ أن يتلقّى العلم ذاته من شيوخ آخرين قَصْدَ زيادة العلم والتفقّه فيه بعيدا عن الشيخ المجيز له، مِمَّا قد يسيء للشيخ المجيز لو علم أن طالبه يقرأ على غيره، فيعمد الأول إلى الإساءة إلى الثاني في المعاملة ويشدّد عليه في التلقّي والعرْض وما إلى غير ذلك.
- "**الرفق بمن يقرأ عليه، والترحيب به، والإحسان إليه، وعدم اِستخدامه في الحاجات الخاصة**"[3]؛ ذلك لأن هذا العلم مبنيّ على التلطّف، وعلى الرّحمة بالمتعلِّمين، لذا لابد على الشيخ أن يكون رؤوفًا رحيمًا بطلاّبه متواضعًا لهم، وأن لا يستغلهم لأغراض شخصية كالقيام بالأعمال المختلفة وغير ذلك.
- "**الاعتناء بمصالح الطالب، وبذل النصيحة له**"[4]، وهذا دور المعلِّم المرّبي من نصح وإرشاد وتوجيه لما يعود بالنفع والفائدة على الطالب في كل مشكلة أو مشقّة تصادفه، ومن ثمّ يستطيع تجاوزها.
- "**تفريغ القلب حال الإقراء من الشواغل**"[5]؛ معناه ينبغي على الشيخ المجيز أن يفرغ قلبه من كل ما يشغله أو يضايقه كالملل والغمّ والقلق وما يعتري الجسد من جوع أو عطش أو نعاس ونحو ذلك مما يشقُّ على الشيخ أو يمنعه من كمال حضور القلب، لأن بذلك تحصلُ الفائدة، ويعظم الأجر، وإن حصل عارض من هذه العوارض على الشيخ المجيز أن يطلب من المجاز له أن يتوقف عن

---

[1] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص:22.

[2] أبو زكريا يحي بن شرف الدين (النووي)، التبيان في آدابْ حملة القرآن، تح محمّد الحجّار، دار اِبن حزم، بيروت – لبنان، ط4، 1996، ص:48.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي ، مصدر سابق، ص: 26.

[5] النووي ، مصدر سابق، ص:49.

القراءة حتى يأخذ قسطًا من الرّاحة ويهدأ باله، أو أن يُسرِّحَهُ ليأتي في مرّة أخرى، وهذا الشّرط ينطبق على المجاز له كذلك إذا ما عانى الأمر نفسه.

هذا عن الشروط التي لابد توفرّها في المجيز لننتقل بعدها إلى الشروط الخاصة بالمجاز له.

(ب)– المجاز: للمجاز أيْضًا شروطٌ لابُدَّ أن تتوفّر فيه مُتَّفَقٌ عليها من طرف العلماء المسلمين ومنها:

- "**أن يكون مسلمًا، غير متظاهر بالفسق والسخف (منافق)**"[1]، بمعنى أن يكون منزّهًا عن أسباب الفسق والفجور ومسقطات المروءة .
- "**أن يكون حاذقًا عارفًا بمعنى الإجازة: لفظًا وضبْطًا، وتعيينًا وتنويعًا**"[2]؛ أي لابد أن يكون عَالمِا بما أخذه عن شيخه، وأن يكون عن طريق **الإجازة** لا غير، مُطَّلِعًا على كل حرف ممّا ورد في الكتاب الذي أجيز فيه عارفًا لمعناه جملة وتفصيلاً، ومُقاربًا بين النسخة التي بحوزته (المجاز به) ونسخة شيخه عن طريق العرْض– الذي أشرنا إليه آنفًا– وبهذا يَسْلَم من التحريف بالزيادة كان أو النقصان. بالإضافة إلى أنه ينبغي يكون عالمِا "باسم المصنَّف (المؤلَّف) الذي أجيز فيه، حتى لا يخلط بين كتاب وآخر"[3].
- **التواضع**: ينبغي على المتعلّم أن "يتواضع لمعلِّمه، ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سِنًّا، وأقلّ شهرة، ونسبًا، وصلاحًا، وغير ذلك، ويتواضع للعلم فبتواضعه يدركه"[4]، التواضع أساس تحصيل العلم سواء كان ذلك من طرف المتعلِّم تجاه معلِّمه أو العكس، لأن التواضع في طلبه يُعْلي من شأنك بين الناس ويرضى عليك خالقك، لذلك "ينبغي عليه أن ينقاد لمعلِّمه، ويشاوره في أموره، ويَقْبِلَ قوله كالمريض العاقل يقبل قول الناصح الحاذق. وهذا أولى"[5]، وما تشبيه المعلم بالطبيب إلا لأن هذا

[1] ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، مصدر سابق، ص: 24.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] النووي ، مصدر سابق، ص:42.

[5] المصدر نفسه، ص: 47.

الأخير يخفِّف عنك العلل الجسدية ويصف لك ما يسكّن آلامها، بينما الثاني يعمل على التقليل من وطأة الجهل ويأخذ بيدك إلى الدرب المستقيم من خلال ما يعمل على تلقينه إياك.

- **الاحترام**: "عليه أن ينظر إلى معلّمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته، ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى اِنتفاعه به"[1]، فيضع في حسبانه أن الاحترام هو سبيل انجذاب القلوب قبل العقول، لذا المجيز الفطن يكون همَّه الأسما نيل اِحترام المجيز أولاً ومن ثم تلقِّي العلم وتحصيله، بالإضافة إلى أهميته في صفاء النفوس والقلوب.

- **حرصه على العلم**: "ومن آدابه المتأكدة أن يكون حريصًا على التعلم، مواظبًا عليه، في جميع الأوقات التي يتمكّن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكّنه من الكثير، ولا يحمّل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل، وضياع ما حصل وهذا يختلف باختلاف الناس والأحوال"[2]، بمعنى أن يكون ذو عزيمة وإرادة في طلبه للعلم، صبورًا غير متعجِّلاً، غير قنوعٍ بما تعلّمه، لأن العلم بحرٌ كلّما اِرتويت منه زدت عطّشًا لذا كان له الأولى أن يتجنّب كل الأسباب الشّاغلة عن التحصيل.

- **اِجتناب الغرور والحسد**: أن لا يُعْجَبَ بنفسه بما خصّه الله، وطريقه في نفي العُجْبِ، أن يذكِّر نفسه أنه لم يحصّل ما حصّله بحوله وقوّته، وإنّما هو فضل من الله"[3]؛ أي أن ما وصل إليه من علم وأدب هو نعمة من نعم الله تفضّل عليها به، ولو لم يشأ ذلك ما كان له ولا ينبغي أن يكون كذلك عليه أن "لا يحسد أحدًا من رفقته أو غيرهم على فضيلة رزقه الله إياها"[4]، وليجتنب هذا عليه أن يَتَيَقَّنَ أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه، فما إن يقف على هذه الحكمة الإلهية التي اِقتضتْ جعل هذه الفضيلة في أحدنا دون غيره، حتى يركن إلى مشيئة الله ويُسَلِّم بها، باعتبار الحسد سُمًّا يقتل صاحبه من الداخل قبل أن يكون سهمًا مسمومًا يرمي به غيره.

---

[1] النووي ، مصدر سابق ، ص:47

[2] المصدر نفسه، ص:50.

[3] المصدر نفسه، ص:52.

[4] المصدر نفسه ، ص ن.

كلّ هذه الشروط وغيرها تنطبق على المجيز والمجاز له على حد سواء، كونها آداب لابد من الالتزام والاتّصاف بها دائما وأبدا اتصافا يليق بكل من أراد تعلم العلم وتعلمه.

علاوة على ذلك نجد المجاز والذي سيُصبح فقيها فيما بعد صنفان:

- **الفقيه المفيد**: "وعليه أن يعتمد ما يحصل فيه بالدرس فائدة من بحث زائد على بحث الجماعة (بقية الطلبة المتفقهة)، ولعلّه يعادل في نظمنا طالب الماجيستر"[1]، وهذا الفقيه هو الذي لا يكتفي في تحصيله للعلم على ما يحصل عليه بقية الطلبة من زملائه من بحث يسير، بل يسعى جاهدًا للبحث عمَّا هو أكثر من ذلك قَصْدَ الإفادة مقارنة بما اِستزاد به زملاؤه من بحث وتقصٍّ.
- **الفقيه المنتهي**: "وعليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه كطالب الدكتوراه"[2]، هذا النوع من الفقهاء قد بلغ درجة من العلم لا يستهان بها، بقي عليه فقط أن يختار العلم الذي يفضّله ويتخصّص فيه ويتفرّغ له حتى يستطيع أن يظفر **بالإجازة العلمية** فيه، ولا يكون ذلك إلا بشهادة المدّرس (المجيز) ويقرّ بإتمام دراسته حول العلم المتخصّص فيه، ليصبح بعد ذلك مؤهَّلاً للتّدريس ولِمَ لا الفتوى كذلك، فيتحوّل من مجاز له إلى مجيز هو الآخر، وهذا لا يتأتَّى بسهولة بل لابدّ من جدٍّ واِجتهادٍ وتضحيةٍ على جميع الأصعدة .
- وما تركيزنا على هذا الرّكن (المجاز له) بعينه إلا لأنه يعد بحقٍّ العمود الفقري الذي تُبْنى عليه **الإجازة** في كل زمان ومكان، هذا و دون أن ننسى الطرف المجيز (الشيخ) والذي دونه لا يمكن **للإجازة** وصيغتها أن توجد أصلاً، بل الأكثر من ذلك أن "قيمة **الإجازة** تتوقف على شهرة الأستاذ المجيز"[3]، وعليه كان لزامًا أن يتحرّى المجاز في أَخْذِ إجازته اِنتقاء المجيز؛ أي "لا يتعلّم إلا ممَّن تكمّلت

[1] عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشام: عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية، دمشق – سوريا، ط2، 1972، ص: 118.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه ، ص: 119.

أهليته، وظهرت ديانته، وتحقّقت صيّانته"[1]، إن أراد بذلك بلوغ مصافَّ العلماء والفقهاء مِمَّنْ يتوسَّمُ فيهم القدوة والأسوة الحسنة، حتى يضاهيهم بذلك في علمهم ومكانتهم وآدابهم و وقارهم.

(ج)– المجاز به: هو كل مصنّف أو مؤلَّف من مرويات الشيخ أو غيره، وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (المادة المجازة) اِستجاز فيه المجاز المجيز **إجازة:** "فيذكر فيها (الإجازة) اِسم الطالب، وشيخه المجيز ومذهبه وتاريخ الإجازة وغير ذلك"[2]، أما عن لفظ الإجازة (الصِّيغة) التي يكتبها المجيز في الاستدعاء[3] فهي تعتمد على ما اِعتاد عليه المجيز الذي يتخذ عادة عبارة معيّنة ثابتة يتميّز بها، إلا أن مضامينها واحدة على العموم، وكان بعضهم يستعمل في كتابة صيغة الإجازة الشّعر والبعض الآخر يكتفي بالنثْر. كل هذا وذاك سنعود إليه لاحقًا بالشّرح والتّفصيل في الفصل التطبيقي في الجزء الخاص به.

3/– أنواع الإجازات:

أجمل العلماء ضروب إجازات الحديث في ثمانية ضروب وهي الأشمل في كل العلوم والفنون وهي:

- **إجازة معين لمعين:** وهي أعلى أنواع الإجازات لأنها تحدّد الشخص المجاز له ومن أجاز له (المجيز) وما أجيز له (المجاز به)، "مثل أن يقول المجيز لطالب الإجازة أجَزْتُ لك الكتاب الفلاني، أو ما اِشتملت عليه فهرستي[4] هذه".[5]
- **إجازة معين في غير معين:** فهي تُعَيِّن الشخص المجاز له ولكنّها تعمّم ما أجيز له كقولنا: "أجزت لك، أو لكم، جميع مسموعاتي أو جميع مروياتي، وما أشبه ذلك"[6].

---

[1] النووي ، مصدر سابق، ص: 47.

[2] عمر موسى باشا، مرجع سابق، ص: 119.

[3] هو الاقتراح والطلب انظر: عبد الرؤوف بن المنوي، التوقيف على مهمات التعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط1، 1990، ص: 58.

[4] الفهرس: هو الكتاب الذي يجمع فيه المحدّث شيُوخه، وأسانيده حجّة له، وقد ذكره كثير من المحدّثين، وأهل الأندلس يستعملون البرنامج بمعنى **الفهرسة**. انظر: ذياب بن سعد آل حمدان، مصدر سابق، ص:25.

[5] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص : 32.

[6] المرجع نفسه، ص : 30.

وممّا يلاحظ هنا هو أن هاتان الإجازتان كانتا مَحَلَّ اِتفاق بين العلماء في وجوب العمل بهما بينما عرفت الستُّ الباقيات خلافًا بين العلماء وهي:

– **إجازة المجاز**: وتسمى أيضا إجازة الإجازة، "نحو قول الشيخ أجَزْتُ مجازاتي أو أجَزْتُ لك رواية ما أجيز لي روايته"[1]؛ أي أن ما أجيز فيه المجيز يجيزه هو بدوره للمجاز.

– **إجازة العموم**: وهي أن يجازَ معين بوصف العموم مِمَّن هو حَيٌّ يُرْزَقُ، وتسمى أيضًا بالإجازة لغير معين"، ويتحقق هذا النوع المذكور من الإجازة عندما يقول الشيخ المجيز "أجزتُ للمسلمين أو أجزتُ لكل أحد، أو أجزتُ لمن أدرك زماني"[2]، فيما رأى بعض العلماء إمكانية حصر أهل بلد أو إقليم معيّن.

– **إجازة المعدوم**: حيث إن المجيز هذه المرّة "يعطف المعدوم على المعلوم لتُتِمَّ إجازته بشفاعته كقول المجيز: «أجَزْتُ لك ولولدك ولعقبك ما تناسلوا»"[3]، يكون في هذه الإجازة المجاز الثاني غير معروف أي أنه مجهول لا يحضر حضرة المجيز بل يحضر من طلب الإجازة نيّابة عنه لذلك قيل عطْف المعدوم (المجهول) على الموجود (الحاضر)، واختلف العلماء والمحدثون في صحّتها، فقد أبطلها أغلبهم وأجازها بعضهم.

– **الإجازة للمجهول أو بالمجهول**: ويرى (اِبن صلاح) أن هذا النوع من الإجازة لا يمكن أن يُعْتَرَفَ ويُعْمَلَ به، كونها "إجازة فاسدة لا فائدة لها. ومن الواضح أنه اِستند في حكمه على فساد النوع المذكور من الإجازة للجهل بالمجاز له، أو المادّة المجازة"[4]، فيما أنّ المجاز له مجهول وغير معروف والأكثر من ذلك المجاز به الآخر غير معروف، فكيف لنا إذن أن نقرّ بوجود إجازة في الأصل؛ بمعنى

[1] عياض بن موسى بن عياض عمرون اليحصبي السبتي، (أبو الفَضل) ، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: أحمد صقر، دار التراث (المكتبة العتيقة القاهرة)، تونس، ط1، 1970، ص: 96.

[2] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص: 33.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

أنّ أي اِختلال أو نقص في ركن من أركان الإجازة – المذكورة آنفًا – يقلّل من مصداقيتها فما بالك إذا جهلنا ركنين أساسين منها.

– **الإجازة المطلقة:** وهي إجازة أبطلها العلماء، لكونها إجازة لمن يُحتمل وجودهم، كقول المجيز: "«أجزتُ لجميع المسلمين أو لكل أحد»، أو قوله: «أجزتُ لمن ولد»"[1]، وهي بخلاف المخصوصة والمُتعلَّقة بمجاز بعينه بقول المجيز: "أَجَزْتُ لِمَنْ لقيني أو لكلّ من قرأ عَليَّ العلم أو لمن كان من طلبة العلم أو أهل البلد أو لبني هاشم أو قريش"[2]. ففي الأولى الإجازة غير محدّدة لمجاز له بعينه بل شاملة لكل من وُجد على ظهر الكرة الأرضية من المسلمين، بينما الثانية فالمجاز محدّد سواء كان اِلتقى بالمجيز أو قرأ عليه فيما يريد أن يستجيزه فيه، أو على الأقل لا يبتعد عن كونه طالب علم، أو يسكن بلد أو قبيلة المجيز نفسه فيكون على علم بها وبأهلها.

– **المناولة:** يرى بعض العلماء أنها أخفض من الإجازة، لكونها إجازة مخصوصة بكتاب بعينه ولأنها "تفتقر إلى مشافهة المجيز للمجاز وحضوره دون الإجازة"[3]. وهي نوعان:

- **المناولة المقرونة بالإجازة:** واعتبر العلماء هذا النوع من أعلى أنواع الإجازة على الإطلاق، وهي المعمول بها والمعتمدة عند جمهور المجيزين؛ باعتبارها تتوفر على مشافهة المجيز للمجاز صراحة أو كتابة مع حضور الإجازة ووجودها.
- **المناولة المجردة عن الإجازة:** ويتحقّق هذا النوع من المناولة "عندما يناول الشيخ تلميذه كتابًا ويقول هذا سماعي، أو روايتي من غير أن يقول أروه عنّي، أو أجزْتُ تلك روايته عنّي، ونحو ذلك. ولم تبح غالبية العلماء الرواية بهذا النوع من المناولة"[4]، بينما أجازها البعض الآخر معتمدين في تبريرهم لذلك على "حصول العلم بكون المادّة المناولة للتلميذ من مرويات الشيخ، وإنّ الإذن بالرواية المذكورة

[1] أبو الفَضل عياض بن موسى بن عياض عمرون اليحصبي السبتي ، مصدر سابق، ص:98.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص:34.

[4] المرجع نفسه ،ص ن.

مفهومة ضمنًا، بالرغم من عدم إفصاح الشيخ بذلك"[1]. وهناك من شذّ عن القاعدة وجعلها شرطًا حتى تصحّ الإجازة **كـ (أحمد بن صالح[2])**.

وعليه تكون هذه هي الأنواع التي اِشتهرت بين المجيزين والمجازين بغية تحقيق مقصد وهدف واحد لا غير وهو نيل "شهادة كفاءة" أو تأهيل يمكّن المجاز من اِستحقاق لقب الشيخ أو الفقيه أو حتى المعلّم في العلوم المجاز بها، لكن ومع تقدّم الزمن أضحى نيل الإجازة لا يعني كل هذا وذاك. وهذا مرجعه تساهل المجيزين في منحها؛ بحيث لم يعد هناك تحقّق من كفاءة المجازين ودِرَايتهم بالعلوم والمواد والفنون ولا من أخلاقهم وآدابهم، كما لم تعد تقيّد لا بقراءة أو مشافهة أو على الأقل الجزء المقروء من الكتاب، فقد أضحت تُمْنَحُ بالمراسلة تُعْطى مطلقة في كل العلوم وكل المصنّفات التي درسها المجيز سواء قرأها المجاز أو لا، وهذا التّساهل نجم عنه ضَعْفُ مستوى التعليم وتردّيه لم لا والمجازين غير الأكفّاء يتصدرون التدريس ويمنحون بدورهم إجازات لغيرهم في علوم ومؤلفات لم يقوموا بدراستها قطُّ – إلا من رحم ربي–.

وعليه يمكن أن نقول إن الإجازة قد خرجت عن طريقها المرسوم لها من طرف مجيزيها ومجازيها الأوائل أو بالأحرى السبّاقين إلى هذا الفن، وما يدل على ذلك هو خضوعها "لنوع من المجاملات بين العلماء، فطالب الإجازة يستدعي المجيز ببيت شعر أو بقطعة أو برسالة يطلب منه الإجازة ويصفه بألقاب ما أنزل الله بها من سلطان كالبحر والمحيط والشمس والكوكب"[3]، وكلّها توحي بتدني قيمة الإجازة وانحطاطها انحطاط العصر العثماني.

[1] عبد الله فيّاض، مرجع سابق، ص:34.

[2] انظر: شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي ، مصدر سابق، ص: 463.

[3] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص: 39، 40.

4/– هيكل الإجازة وبناؤها:

عادة ما تكتب الإجازة بإتقان وإحكام، حيث يتحرّى فيها صاحبها الدقة والتفنّن في رسمها واضعًا في حسبانه الهيكل الذي اعتاد عليه أدباء وعلماء ذلك العصر، مع أن البعْض قد زاد عليه وهناك من أنقص وهو كالآتي:

- البسملة.
- الحمدلة (لابد أن يتضمّن الحمد بعض ما يسرد في نص الإجازة).
- التشهد.
- الصلاة على النبي.
- ذكر السماع والرواية.
- لفظ الإجازة.
- الواجبات المترتبة على المجيز بعد نيله حق الإجازة.

وهذا ما سنحاول في هذا المبحث من خلال رسم صورة لهيكل الإجازة، وسنقتصرُ على الشائع منها والمتداول بين شيوخ العلم وخاصته، وقد ألفينا هذا التصميم المشكَّل من المقدّمة، العرض والخاتمة يتكرّر في جل الإجازات نثرية كانت أم شعرية – في الغالب – والشكل الآتي يلخص ذلك:

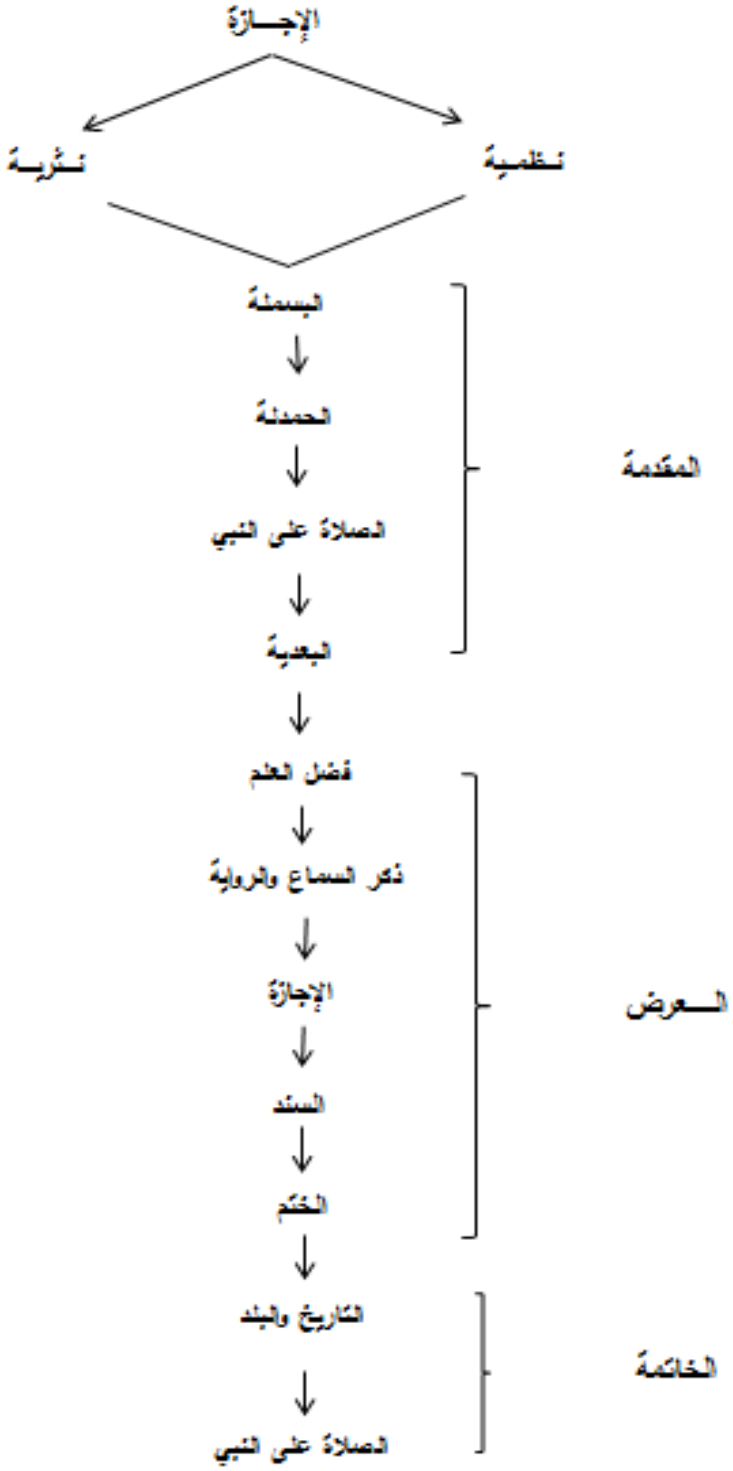

الشكل: هيكل الإجازة وبناؤها[1]

[1] فضيلة عماري، في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقّري التلمساني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران – السانيا، 2009-2010، ص28 – بتصرف.

5/- بعض علماء العصر العثماني من الجزائريين:

عرف هذا العصر نبوغ العديد من العلماء الجزائريين إلا أننا سنكتفي بذكر بعضهم فقط وكان ممّا "نبغ في القرن الحادي عشر الشيخ أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي[1] المتوفي سنة 1080هـ وَالنحوي الشّهير أمير الحاج الجزائر الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكّوني القسنطيني[2] (ت 1071هـ) ويحي إبن صالح الشاوي المليانى[3] العلامة الفقيه الذي تولى الإفتاء في مليانة وناظر علماء دمشق الشام

[1]هو عيسى بن محمد بن أحمد عامر الجعفري، نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، الهاشمي الثعالبي الجزائري، جار الله أبو المهدي: محدّث، من أكبر فقهاء المالكية في عصره، أصله من ناحية وادي سير (وطن الثعالبة) بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر. ولد ونشأ في زواوة، وانتقل إلى العاصمة فأخذ عن الشيخ سعيد قدورة وغيره، ورحل إلى تونس ومنها إلى المشرق فحجَّ سنة 1062هـ وجاور مكة، ثم دخل مصر وأخذ عن علمائها كالقاضي شهاب أحمد الخفاجي وغيره، وعاد إلى مكة ومات فيه. له فهرسة حافل سماها «كنز الرواة المجموع في درر المجاز و بواقيت المسموع» في أسماء شيوخه والتعريف بهم وبمؤلفاتهم وأسماء شيوخهم، ورسالة في «مضاعفة ثواب هذه الأمة» و«تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس» و«مشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار» و«منتخب الأسانيد» ذكر فيه شيوخه المالكيين وأسماء رواد الإمام أبي حنيفة» انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الثقافية، بيروت – لبنان، ط2، 1980، ص: 91.

[2]هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون : أديب، نحوي، محدّث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، من أهل قسنطينة — كان يل إمارة ركب الجزائر في الحج. قال العياشي في رحلته: كان في غاية الانقباض والانزَواء عن الخلق، ومجانية علوم أهل الرسوم بعدما كام إمامًا يقتدى به فيها، وله في كثير منها تآليف شهد له فيها بالتقدم أهل عصره، فألقي في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب والتزوّد إلى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول إذا ذكر له شيء من هذه العلوم: قرأتها لله وتركتها لله. توفي بقسنطينة بالطاعون له «شرح» على البسط والتعريف في علم التصريف، للمكودي فرغ من تأليفه سنة 1048هـ. و«شرح» على شواهد الشريف على الأجرومية، و«محمد السنان في نحور أخوان الدخان» رسالة في تحريم الدخان، و«ديوان» في مدح النبي العربي الكريم ﷺ مرتب على حروف المعجم، و«شرح» جمل المجراد ومخارج الحروف الشاطبية، وتأليف في «حوادث فقراء الوقت» ولعله هو كتابه المسمى «بمنشور الهداية في كشف حال من دعت العلم والرواية». انظر: المرجع نفسه، ص: 254.

[3](ت 1096هـ): هو يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء الشاوي: عالم بالنحو، مفسّر، من فقهاء المالكية، أصله من مليانة، ولد بمدينة الجزائر، حج سنة 1074هـ وعاد إلى القاهرة فتصدر للإقراء بالأزهر الشريف. ثم رحل إلى تركيا فمرّ في طريقه على دمشق ولَقِيَ الأعلام من رجالها ورجع إلى القاهرة. وفي سنة 1096هـ ذهب للحج فمات وهو في السفينة ونقل في جثمانه إلى القاهرة ودفن بالقرافة الكبرى. له "شرح التّسهيل" لابن مالك وَ "رسالة الاقتراح للسيّوطي"، و"حاشية على شرح المرادي" وَ "لامية منظومة في إعراب الجلالة فيها أقاويل النحويين، و"الحاكمة" حاشية على تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية، "وتوكيد العقد فيما أخَّر الله علينا من العهد" حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي و"النيل الرقيق في حلقوم الساب الزنديق" وَ"إرتقاء السادة لحضرة شاه زاده" و "قرة العين في جمع البيت". انظر: المرجع نفسه، ص: 185.

في المسجد الأموي فظهر عليهم وله تآليف عديدة (1096هـ) والعلامة سعيد المقّري[1] الذي اِنتصب مفتيًا بتلمسان مدّة ستين عامًا ونفع بعلومه المتدفقة جمعًا غفيرًا من الطلبة (ت 1010هـ). وممّا نبغ بالإضافة إلى هؤلاء العلماء والفقهاء نعثر أيضا على علماء آخرين لا يقلّون أهمية ومكانة ورفعة عن الذين ذكرنا تفقّها وغزارة في الإنتاج، ففي "القرن الثاني عشر الشيخ عبد القادر الراشدي[2] ... وَأحمد بن عمار الجزائري[3] مفتي مدينة الجزائر ومدرَّسها ... ولعل أعظم من اِشتهر من علماء ذلك القرن بالجزائر، عمر بن محمد المنقلاتي القبائلي[4] (المتوفي سنة 1105هـ)، كان بحرًا عميقًا من العلم والفضل والتقوى، تخرّج علي يديه في الجزائر طلبة علماء لا يشق غبارهم، منهم العلامة اِبن زاكور والذي ستكون لنا وقفة معه من خلال ما سنتناوله بالدراسة في الفصل التطبيقي – صاحب نشر أزاهير البستان–، ولقد "أجاز العلامة المنقلاّتي تلميذه اِبن زاكور في رواية العلم عنه، وأعطاه بذلك

[1] سعيد بن أحمد المُقَّري (الجد)، أبو عثمان: عالم تلمسان في وقته ومفتيها سنة، وخطيب مسجدها الأعظم خمسا وأربعين سنة، وعمَ صاحب "نفح الطيب". ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم – أخذ عن والده وعبد الواحد الونشريسي وغيرهما – وأخذ عنه اِبن أخيه صاحب "النفح" وابن مريم صاحب "البستان"، وابن القاضي صاحب "درة الحجال". "وفي تاريخ وفاته خلاف بين مترجميه، قال اليفراني سنة 1010هـ (1602م)، ومثله في "اليواقيت الثمينة". وقال ليفي بروفنسال: سنة 1030هـ. أما عن اِبن مريم – هو تلميذه – فيقول: كان حيًّا سنة 1011هـ ومما يؤيد هذا القول أن صاحب "النفح تلقى رسالة من محمد الوجدي في سنة 1011هـ بالذات يسلم فيها على عمه سعيد وقد أخذنا نحن بهذا التاريخ. انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص: 311، 312.

[2] (ت 1194هـ): عبد القادر بن محمد الراشدي وفقيه مالكي، قاضٍ، أصله من الرواشد (مدشر من مداشر فرجيوة). تولى القضاء والفتيا بقسنطينة مرارًا، ومال إلى الاجتهاد، فسبب له متاعب وأخرج من القضاء. من آثاره «كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعروبها وبربرها» ورسالة في «تحريم الدخان» ورسالة في «وزن الأعمال» وَ «حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية» وَ «فتاوى وغير ذلك». انظر: المرجع نفسه، ص: 145،146.

[3] لم نعثر له على ترجمة وافية شافية ماعدا أنه هو مفتي المالكية بمدينة الجزائر في عصره وهو القرن الثاني عشر من الهجرة، كان من نبغاء الناس وأفاضلهم صاحب القلم السيال وطلاقة اللسان على منوال لسان الدين بن الخطيب والفتح بن خاقان، وزاحم الحريري والهمذاني في المعاني والبيان، ولا نعرف له ترجمة إلا ما أخبر به هو عن نفسه وحياته ورحلته. انظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص: 211.

[4] هو أبو حفص : فقيه كبير، أصولي، منطقي، مشارك في كثير من العلوم، من أهل بجاية، انتقل منها بعد سقوطها إلى مدينة الجزائر، فكان من كبار علمائها. رحل إلى المغرب وأُخِذَ عنه. أثنى عليه اِبن زاكور الفاسي وقال: أجازني بالجزائر وتطوان – مات بمدينة الجزائر – انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص: 318.

وثيقة ذات أهمية تدلّنا على حالة العلم والتدريس في ذلك العصر"[1]، وهذه الوثيقة ستكون محور دراستنا ومحلّ اِهتمامنا وشغلنا الشاغل في بقية بحثنا ألا وهي "الإجازة"، محاولين بذلك التعرف على هذه الوثيقة، أو بالأحرى هذا الفن والنظام الذي ظهر بل واِزدهر في هذا العهد – العثماني –.

[1] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص: 90.

الفصل الثاني:

التشكيل الهيكلي لنظام الإجازة

توطئة

1/- المقدَّمة

2/- العرض

(أ)- بناء تمهيدي

(ب)- البناء الاستجازي

(ج)- البناء الإجازي

3/- الخاتمة

توطئة:

إنَّ العلوم الدّينية كانت محلّ اِهتمام هذا العصر بالدّرجة الأولى، ولعلّ هذا يعود أساسا إلى الطّبيعة التي تميّزت في مجملها بدراسة القرآن الكريم والسّنة النبوية الشريفة، فلا عجب إذا رأينا حركة نشيطة تناولت إحياء علوم الدين في الأصول والفروع، فراح علماء وأدباء وفقهاء هذا العصر– العهد العثماني – يتهافتون على أخذ الإجازات باعتبارها وسيلة من وسائل دراسة القرآن الكريم والسنة الشريفة، حتى يضمنوا بذلك تناقله وصحة إسناده وروايته فيما يعرف بـ **"الإجازة بالرواية"**، ثم توسَّع العلماء في هذا النوع من الإجازات، فمنحوها لكل طالب الرواية في الفقه والتاريخ والأدب وغيرها ويمكن أن نميز بين ثلاثة أصناف من الإجازات عرفتها هذه الفترة من تاريخ الجزائر:

- إجازة الجزائريين لبعضهم البعض.
- إجازة الجزائريين لغيرهم.
- إجازات العلماء المسلمين لعلماء الجزائر.

وسنتخصّص في هذه الدراسة بدراسة الصنف الثاني من الإجازات؛ أي إجازات الجزائريين لغيرهم لا لشيء إلاّ لنثبت أن علماء الجزائر وفقهائها كانوا أهلاً لأن يؤخذ عنهم.

1/- المقدّمة:

قبل أن نشرع في كيفية بناء المقدَّمة وما تنضوي عليه في نظام الإجازة اِرتأينا أن نلقي الضوء أولاً على المكانة التي تحظى بها المقدَّمة في أعمال الكُتَّاب والأدباء، باعتبارها " الطليعة الدالة على ما بعدها "[1]، بالإضافة إلى أنّها " المدخل الذي تمهَّد به الكتاب لغرض معيّن"[2]، كما أن البعض " يطلق عليه اِسم **الافتتاحية** أو **المطلع**، ونظرًا للأهمية البالغة التي تحتلها، فلقد اِهتمّ الشّعراء والنقّاد بمطالع الأعمال الأدبية وخصوصًا المقدّمات الشعرية، التي رأوا فيها دليلًا على براعة الشاعر وتفوّقه، فكانوا يقولون "أحسنوا معاشر الكُتَّاب الابتداء فإنهن دلائل البيان"[3]، وممَّا ركَّزوا عليه أيضًا طريقة تشكّلها وعلاقتها بفعل التلقي لأنها "تزيد النفس بحسنها اِبتهاجًا ونشاطًا لتلقّي ما بعدها وربما غطّت بحسنها على كثير من التخون بعدها"[4]. معنى ذلك أن المقدّمة إذا كانت جيّدة السّبك حسنة النّظم منتقاة الألفاظ والعبارات، اِستطاعت أن تكون درعًا واقيًا لصاحبها مما قد يلاقيه أو يعتريه من مطبّات قد يقع فيها أثناء تحريره لما بعدها ونقصد هنا العرض والخاتمة، لذلك نرى أن السبَّاقين إلى زمن الكتابة أولوا هذا العنصر عناية لا تضاهيها عناية بقية العناصر الأخرى، وفي هذه النقطة نودّ أن نشير إلى الاعتناء بالمقدمات الشعرية في الجاهلية وحتى عصر الإسلام، كالمقدّمات الطّلالية والغزلية التي كان لها الباع الطويل مقارنة مع بقية المقدمات الأخرى مثل: المقدّمة الخمرية التي اِشتهرت في العصر العباسي وما إلى ذلك، وتأثيرها على نفسية الشاعر نفسه، حيث لا يطيب له مقامًا إلا باعتمادها وجعلها ركيزة ينطلق منها في التعبير عمَّا يختلجه من مشاعر وأحاسيس، فإذا ما أحسن ذلك اِنساب ما بعدها

---

[1] أبو حسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق وتح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، (د،ط) 2008، ص:278.

[2] فضيلة عماري، في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقّري التلمساني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، في الأدب العربي ، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة وهران – السانيا ، 2009-2010 ، ص: 29 نقلا عن الربيعي سلامة، الرسالة الدبلوماسية في النثر الأندلسي بين مهمة التبليغ ومتطلبات الفن، مجلة الآداب، ع05.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص: 431.

اِنسياب الماء في الجداول، ولهذا حُقَّ لها أن تتربَّع على عرش أي بناء معماري أدبي مهما كان شكله ونوعه، فلا نستطيع أن نتخيّل أي عمل أدبي يخلو من هذه البنية، لتكون بذلك مستهلّ الإجازة ومطلعها هي الأخرى، باعتبارها فنًّا أدبيًّا مثله مثل بقية الأعمال الأدبية الأخرى من حيث الهيكل والبناء، غير أن مقدّماتها هي اِنبنتْ على عنصرين أساسين هما: **الحمدلة و الصلاة على النبي ﷺ** وقد يتوسّطهما التشهّد في بعضها نثرية كانت أو شعرية، مثلما سنوضّحه من خلال النماذج المقدّمة قيد الدراسة، حيث إنّها " تعتبر هذه البنية أساسية (**أساسة**) غايتها التمهيد لطرح الغرض العام ألا وهي الإجازة"،[1] وعليه فإنّنا نكاد نجمع على أن أغلب الإجازات إن لم نقل جلّها تتفق في المقدَّمة نفسها، وهي بداية تقليدية حاكت المغاربة والأندلسيين في ألفاظها وعباراتها، وهنا نفتح قوس لنشير إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن مُعظم مجيزي ومجازي هذا العصر كانوا من الرحّالة سواء لطلب العلم مثل(**اِبن زاكور**) و(أحمد المقّري) أصحاب الإجازات التي سوف نتعرّض لها بالدراسة والتحليل، أو للحجّ وهم في طريقهم إلى مقصدهم أين اختلطوا بغيرهم من المغاربة والأندلسيين، ليحدث بذلك التأثير والتأثر وإن كان الأوّل أكثر من الثاني، فنجدها تبدأ بحمد الله والثّناء على رسوله الكريم، غير أنّها تنوّعت ما بين الإطناب والإيجاز، ومن الإجازات التي تميّزت مقدمتها بالإطناب نجد:

– إجازة (**أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري[2]لابن زاكور**)[3] – هذا الأخير الرحّالة المغربي الذي لم يلبث ولو للحظة في الانتقال من بلد إلى بلد بغية تحصيل العلم ونيل

[1] فضيلة عماري ، مرجع سابق، ص:30.

[2] محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، أبو عبد الله (ت بعد 1094هـ): قاضٍ، محدّث، فقيه، من كبار العلماء في وقته، ولد بمدينة الجزائر، وتعلم بمصر، وعاد فولي قضاء المالكية بها. أخذ عنه ابن زاكور الفاسي، وأجازه سنة 1094هـ– توفي بمدينة الجزائر. انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص: 110، 111.

[3] هو أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي الأديب المتفنّن الرحّالة شيخ الأدباء في عصره صاحب اليراع المُرهف، والفكر المُثَّقف، المُحرَّر الذي برَّزَ على أقرانه وفاق أهل زمانه بكثرة اِطلاعه وشدة اِضطلاعه بالفنون الأدبية، والعلوم العربية وغيرها، فكان كاتبًا بليغًا، وشاعرًا مبدعًا، ومؤلفًا مجوّدًا من أكبر مؤلفي الآداب من المغاربة ... توفي سنة 1120. انظر: عبد الله كنّون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، قراءة وتح: عبد السلام ، ج1، معرض الكتاب، ط2، (د، ت)، ص:313.

الإجازات كلما سمع بأن هناك رجل علم أو شيخ فقه – يثني فيها العلم الذي أجاز فيه مجازه (ابن زاكور) بصفة عامة دون أن يفصّل في ذلك ليرجئه إلى العرض، كما أثنى على الإجازة نفسها، لينتقل بعدها إلى تعداد بعض صفات النبي المختار محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بما يليق بمقامه وعظيم شأنه، حيث يقول: "الحمد لله الذي أجاز على العمل الحسن الصحيح المقبول أحسن إجازة، ووعد بوجادة ذلك يوم مناولة الكتاب باليمين، وعدًا لا يخلف سبحانه إنجازه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدّ ولا ندّ له، شهادة يضحّي بها العمل الموقوف مرفوعًا، ويتصل بها ما كان مقطوعًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، المرفوع قدره على جميع الخلائق، المعنعن خبر نعته بأكمل الخلائق، صل الله عليه وسلم وعلى آله صلاة وسلامًا يرفع بهما كل معضل ويهتدي بهما من جانب سبيل الصواب أو ضل"[1]، ومما يلاحظ هنا هو إطناب المجيز في مقدمته حيث ألفناه قد أغدق في التحميد والثناء على الذات الإلهية والصفات المحمّدية، ونحن لا نرى عيبًا في ذلك كونها كانت التّيمة المميّزة للأدب في العصر مثلما هو الحال بالنسبة للرسائل بنوعيها الديوانية والإخوانية والخطب والمقامات والمراسلات وغيرها، إلا أننا نجد في مقابل ذلك مقدَّمة موجزة إيجاز غاية صاحبها ومراده وهي:

– إجازة (**أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة**[2]) للمجاز نفسه (إبن زاكور) الذي إكتفى بحمد الله والصلاة على نبيه ورسوله الكريم فيقول: "الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد

[1] ابن زاكور الفاسي ، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية، الجزائر، (د، ت)، 2011، ص:55 ،56.

[2] الإمام العلامة المفتي عبد الله سيدي محمد ابن الإمام الأكبر ذي الفضائل المشهورة أبي عثمان سعيد إبراهيم عُرِفَ بقدورة أتمّ الله نوره شيخ الفقه والحديث ووارث الشرف القديم والحديث تفرَّغ من شجرة علم وتدرع برود وقار وحلم فمحله من الجزائر محل السواد من الناظر إنتهت إليه خطابتها وفتياها وحصلت في يديه ءاخرتها (آخرتها) ودنياها فإليه يهرع عند اشتباه النّوازل ويفزع عند إشتداد الزلازل وعليه يعمّد في رواية الآثار وتصحيح أسانيد الأخبار... قال ابن زاكور وسمعت من إملائه في مجلسه الخطير جملة وافية من الجامع الصغير وأبوابًا من صحيح البخاري يحمد مواردها المدلج والساري سماع دراية وتحقيق رواية فرأيتُ من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر وتنزّهت من فهمه وحفظه في جنة ونهر. انظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، (د، ط)، 1906، ص 382 ،383.

وآله وصحبه وسلم تسليما"[1]، ثم يلج إلى صلب الموضوع مباشرة. هذا عن المقدّمات النثرية لنتجاوز ذلك إلى صنف آخر من المقدمات وهو المقدمة النظمية[2] :

– مقدَّمة إجازة (**أحمد المقّري**) ، وهنا سندرس إجازته باعتباره مجيز لا مجاز؛ بمعنى أحمد المقّري الشيخ والأستاذ لا الطالب والتلميذ، الذي كانت حياته حافلة بالنشاط العلمي، و تدل آثاره الحسان على علمه وفهمه وروايته ودرايته، من خلال مؤلفاته العلمية العديدة التي ألَّفها في العلوم المختلفة والتي عرفها المغاربة قبل الجزائريين. يقول في مطلع إجازته[3] لأولاد مفتي الشّيخ (عبد الرّحمن العمادي)[4]: (الرجز)

"أَحْمَـــدُ مَـــنْ شَـــيَّدَ بالإِسْـــنَادِ بَيْـــتَ العُلُـــومِ السَّـــامِيَ العِمَـــادِ
وَعَـــمَّ مَـــنْ خَصَّـــصَ بِالرِّوَايَـــهْ بِنُورِهَـــا النَّـــافِي دُجَـــى الغَوَايَـــهْ
وَزَانَ صَـــدْرَ النُّبَهَـــا كُـــلَّ زَمَـــنِ بِجَـــوْهَرِ الإِجَـــازَةِ الغَـــالِي الـــثَّمَنْ
نَحْمَـــــدُهُ سُـــــبْحَانَهُ أَنْ عَرَّفَـــــا مِـــنَ الحَـــدِيثِ مَـــا بِـــهِ شَـــرَّفَا
وَنَسْـــأَلُ الـــمَزِيدَ مِـــنْ صَـــلَاتِهِ لِمَـــنْ أُتِـــيحَ القَصْـــدُ مِـــنْ صَـــلَاتِهِ
مَلْجَؤُنَـــا المَعْصُـــومُ أَعْلَـــى سَـــنَدِ لَنَـــا بِـــرَغْمِ جَاحِـــدٍ مُفَنَّـــدِ

[1] ابن زاكور، مصدر سابق، ص: 71.

[2] واعلم أن النُّظُمَ ليس إلا أن تضع كلامكَ الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَت فلا تزيغ عنها. انظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح وتق: رضوان الداية وفايزة الداية، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط1، 2008، ص: 122.

[3] الإجازة واردة في نفح الطيب للمقّري، ومعها نصّ الاستدعاء (طلب الإجازة) المشار إليه الذي طلبه العمادي، انظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، 1988، ص: 426-430.

[4] هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عماد الدين العمادي الحنبلي (978-1051هـ)، مفتي دمشق، ومن أجلاّء شيوخها، مولود ووفاته فيها، تتلمذ للحسن البوريني، وابن المنقار، والبغدادي وغيرهم، له عدّة مؤلفات منها ، تحرير التأويل، والمستطاع الزاد، والفتاوى، وغيرها. انظر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، المطبعة الوهابية، الرياض – السعودية، (د، ط)،1284هـ، ص:23 . وأولاده على التوالي هم: عبد الرحمن العمادي: مفتي الحنفية الثلاثة هم على التوالي: عماد الدين مفتي الحنيفة (1004-1068هـ) وشهاب الدين الشاعر (1007-1078هـ)، إبراهيم الأديب وقد حظوا بمناصب متعددة بدمشق ودرسوا في عدة مدارس. انظر: المرجع نفسه،ج1، ص:23-25.

كَهْـفُ الضَّـعِيفِ وَالقَـوِيِّ الـمُرْتَجَى بَـابُ الهِـدَايَاتِ وَلَـيْسَ مُرْتَجَـا
مَـنْ جَاءَنَـا بِالجَـامِعِ الصَّـحِيحِ مَـنْ كَلَامُـهُ الهَـادِي إِلَى نَهْـجِ أَمْـنِ
مَـنْ فَضْـلُهُ مَـا شَـكَّ فِيـهِ مُسْـلِمُ مِـنْ حُبِّـهِ بِكُـلِّ خَـيْرٍ مَعْلَـمُ
نَبِيُّنَـا الـمُرْسَلُ ذُو الخُلُـقِ الحَسَـنْ وَالـمُعْجِزُ وَالمُفْحِمُ أَرْبَابَ اللَّسَـنْ
مُحَمَّـدُ المَرْفُـوعُ قَـدْرُهُ عَلَـى سَـائِرِ خَلْـقِ اللهِ جَـلَّ وَعَـلَا
صَـلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَسَـلَّمَا أَزْكَـى صَـلَاةٍ نَنْتَحِيهَـا مَعْلَمَـا
مَـعَ آلِـهِ وَصَـحْبِهِ وَمَـنْ رَوَى آثَـارَهُ عَـنْ صِـحَّةٍ وَمَـا غَـوَى"[1]

نلاحظ أن هذه المقدّمة المنظومة هي الأخرى اِعتمدت العنصرين الأساسين **الحمدلة والصلاة على النبي محمد** ﷺ، إلا أن العنصر الثاني (الصلاة على النبي) قد شغل مساحة أكبر من العنصر الأول (الحمدلة)، ولعلَّ ذلك يعود إلى المجيز- أحمد المقّري- فبعد أن ذكر الصلاة على رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التطهير اِنسابت صفاته من غير أن يحسَّ بذلك، وهي أيضا من المقدمات الطّوال إضافة إلى المقدّمة التي سبق ذكرها.

– الحمدلة والصلاة على الرسول – عليه السلام – وإن كانت تتصدّر مقدمات أغلب الإجازات النثرية والنظمية إلا أننا لا نكاد نجدها في جل مطالع الإجازات الشعرية في هذا العصر، إذ أنها قد تتضمَّن:

"أ/- مدح المجاز ردًّا على الاستجازة الموجّهة له والمتضمّنة أيضا المدح.

ب/- التقرير بالإذن ووصف الإجازة المقدمة.

ج/- مدح يسبقه طلل"[2] وهذا ما أشرنا له في بداية الكلام عن المقدَّمة إذ أن بعض الشعراء المجيزين لازالوا يحافظون على شكل وبناء القصيدة التقليدية ذات المطلع الطللي، والتي مازالت تفرض نفوذها

[1] ينظر: أبو العباس أحمد المقّري، رحلة المقَّري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمّر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال اِفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص:164. و أحمد بن محمد المقري التلمساني ، مصدر سابق، ج2، ص: 426 ،427.

[2] فضيلة عماري ، مرجع سابق، ص: 192، 193.

على الشاعر الجزائري بصفة خاصة وعلى المغاربة بصفة عامة كلّما سوّلت له نفسه دقَّ أبواب الشعر والكتابة على أوزانه وقوافيه المتباينة تباين حالته الشعورية والنفسية.

أ/- ففيما يتعلق بمدح المجاز نورد هذا المقطع من مطلع اِستجارة (الشيخ بن يوسف التاملي المراكشي[1]) للمقري والتي يقول فيها: (الطويل)

"أَمُـوقِظٌ جَفْـنَ مِـنْ بَعْـدِمَا أَغْفَـى وَبَاسِـطٌ كَـفَّ البَـذْلِ مِـنْ بَعْـدِمَا كَفَـا
وَمُحْـيِ رُسُـومَ الأَكْـرَمِينَ الَّـتِي عَفَـتْ وَمُجْـرِي مُعِـينَ العِلْـمِ مِـنْ بَعْـدِمَا جَفَـا
إِمَـامٌ رَسَـتْ لِلْحِفْـظِ فِي رَحْـبِ صَـدْرِهِ شَمَـارِيخُ العُلَـى لاَ يَعْلَـى كُنْهُهَـا وَصْـفَا"[2]

فيجيبه المجيز مادحًا أيضًا إيّاه معتمدًا في ذلك البحر ذاته (بحر الطويل) والقافية ذاتها:

"أَيَّامَـا جَـدَا أَعْيَـتْ مَحَاسِـنَهُ الوَصْـفَا وَإِنْسَـانُ عَـيْنُ الـوِدِّ وَالأَخْلَـصِ وَالأَصْـفَى
وَمِشْـــكَاةُ أَنْـــوَاعِ القِـــرَاءَاتِ وَالأَدَا وَسَـاحِبُ أَذْيَـالِ الكَمَـالِ عَلَـى الأَكُفَّـا
وَحَـائِزُ أَشْـتَاتِ الفَضَـائِلِ مَـنْ غَـدَتْ مَـــآثِرُهَ فِي أُذُنِ مَغْرِبِنَـــا شَـــنْفَا"[3]

تبادل كلٌّ من المجيز والمجاز عبارات وألفاظ المدح وأوصافًا تقترب في معانيها من بعضها البعض.

ب/- أما فيما يتعلق بالإقرار بالإذن عن طريق وصف الإجازة المقدّمة، فسنورد مقطعًا من مطلع إجازة المجيز نفسه للمجاز (أحمد بن مسعود الرشيدي) حيث يقول:(الطويل)

[1] المراكشي أحد فقهاء المغاربة المشهورين، له مبادلات أدبية مع المؤلف (أحمد المقّري)، قال صاحب خلاصة الأثر، المحبي: "إن علم فضله أشهر من نار على علم ... كان حيّا سنة 1038م. انظر: المحبي، مصدر سابق، ج4، ص:271.

[2] أحمد المقّري، مصدر سابق، ص:192.

[3] المصدر نفسه، ص:192، 193.

"أَمَّـــا وَعُلُـــومٌ أَنْتَجَتْهَـــا المَبَاحِـــثْ لَقَـــدْ رَقَّ نَظْـــمٌ رَاقٍ بِالسِّـــحْرِ نَافِـــثْ
لِعَـالِمِ أَهْـلِ العَصْـرِ أَحْمَـدُ مَـنْ غَـدَا سَـرِيعًا إِلَى العَلْيَـا وَفِي النَّـاسِ رَانِـثْ"[1]

المجيز هنا عمد إلى وصف الإجازة المقدّمة بكونها نظم راقٍ وساحر، ثم إنتقل بعدها إلى مدح المجاز بأوصاف أقل ما يمكن أن نقول عنها أنّها راقية وساحرة هي الأخرى.

ج/- أما عن العنصر الثالث والمتعلّق بالمدح المسبوق بالبكاء على الأطلال، فكما ذكرنا سالفًا أن المجيز قام بمحاكاة القصيدة التقليدية ذات المطلع الطللي بحذافرها لينحاز بذلك عن نظام الإجازة وبنائها المعماري (كلّيًا)؛ ونعني بذلك الابتداء بالحمدلة والصلاة على النبي ﷺ، وهذا المقطع أكبر دليل على ما نقول وهو للمجيز ذاته (المقّري) لـ: (تاج العارفين التونسي) ردًّا على إستجازته فيقول: (الكامل)

"أَرَقْـتَ لِبَـرْقِ شَمْـتَ مِـنْ جَانِـبِ الخَضْـرَا أَضَـاءَ فَـأَذْكَى الشَّـوْقُ فِي كَبِـدٍ فِي جَمْـرَا كف
وَاذْكُـــرْنِي العَهْـــدَ القَـــدِيمَ وَطَالَمَـــا تُثِـيرُ جَـوَى المشْـتَاقِ لِلْمَعْهَـدِ الـذِّكْرَى
وَلَمْ أَنْـسَ عَهْـدَ الضَّـاعِنِينَ وَغَـادَرُوا مُتَـيَّمٌ هَيْمَـانَ لَمْ يَمْلِـكْ الصَّـبْرَا
فَيَـا زَاجِـرَ الأَضْـغَانِ وَهِـيَ ضَـرَامِرْ تَرَفَّـقْ بِهَـا بِـاللهِ لاَ تُكْثِـرْ الزَّجْـرَا
وَحَـيِّ غَرِيـبَ الحَـيِّ خَيْـرَ تَحِيَّـةً وَبَلِّـغْ سَـلَامَ الهَـائِمِ المُـغْرَمْ المغَـرَّى
وَلَا تَـنْسَ سُـكَّانَ العَقِيـقِ فَـإِنَّهُمْ مِـنَ الْعَـيْنِ أَجْـرُوهُ دُمُوعًـا غَـدَتْ حُمْـرَا
فَهَـا بَـاطِنِي حَـلَّ الغَضَـا مِنْـهُ جِيـرَةٌ وَفِي المنْحَـنَى مِـنْ أَضْـلُعِي جَـرَّةٌ أُخْـرَى
لَـكَ اللهُ مِـنْ صَـبٍّ تَعْبُـدُهُ الهَـوَى وَبِـأَنَّ مِـنَ الأَحْبَـابِ قَـدْ أَلِـفَ القَفْـرَا
رَعَـى اللهُ خِـلاَّنَ الـوِدَادِ وَجِيـرَةٌ تَنَـادُوا فَأَبْـدَى الـوَهْمُ شَخْصَـهُمْ فِكْـرَا
فَيَـا لَيْـتَ شِـعْرِي وَالأَمَـانِي كَثِـيرَةٌ وَلِلـدَّهْرِ أَشْـجَانُ تُعَاقِبُهَـا سِـرَّا
هَـلِ الـزَّمَنُ المَـاضِي بِتُـونَسَ رَاجِـعٌ فَاقْضِـي بِحَـقِّ الخَلِيـلِ بِهَـا نَـذْرَا"[2]

[1] أحمد المقّري، مصدر سابق، ص:68، 69.

[2] المصدر نفسه، ص:153.

إن المتأمّل لهذا المقطع يجد أنه يبتدئ بالبكاء والتوجّع لفراق الأحبة، ثم مخاطبة الرّكب وإستعطافه ليليه الغزل فيما بعد، وهي نفسها عناصر المقدمة الطّللية سواء من خلال البناء أو حتى المضمون.

وممّا سبق يمكننا القول إن **الحمدلة والصلاة على النبي** ﷺ كانت الصيغة التي إصطبغت بها جلّ مطالع الإجازات التي وجدت في هذا العصر (العصر العثماني)، إلا أن هذا لا يعدّ حكمًا مطلقًا ومعيارًا نقيس به، فهناك من المطالع ما كسر القاعدة وخرج وانزاح عن المألوف والمتعارف عليه بين ذوي الإجازات مجيزين كانوا أو مجازين ليخرقوا بذلك القانون السّاري ويهدّمون بناء مقدمة نظام الإجازة الذي عهدناه في إجازات هذا العصر، ونخص بالذكر المقدمات الشعرية دون غيرها من المقدمات الأخرى. لننتقل بعدها إلى العرض ونرى هل كانت مكوناته ثابتة في جل الإجازات محلّ الدراسة أم متغيرة هي الأخرى؟.

2/– العرض:

لطالما حَظِيَ العرض في أي عمل أدبي بحصة الأسد؛ كونه يشتمل على أغلب عناصر ذلك العمل المراد شرحه والتفصيل فيه، والأمر نفسه نجده في عرض الإجازة باعتبارها هي الأخرى عمل أدبي ينضوي على المقومات الأساسة له، فنجده يتجاوز الصفحات – في أغلبها – يستوفي بذلك معظم وإن لم نقل كلّ ما يريد الكاتب توضيحه للقارئ أو المتلقي ؛أي المجاز، وهناك من يطلق عليه صلب الموضوع ولبّه أو حتى الموضوع، و هذا إذا سلّمنا بأن المقدمة هي التمهيد له.

سرعان ما تستعيد الإجازة بناءها المعماري عندما تنتقل من بناء إلى آخر أو بعبارة أخرى من المقدّمة إلى العرض معتمدة في ذلك على رابط يربط بينهما ربطًا محكمًا وهي لفظة و"بعد" أو ما يعرف بـ(البعدية)، هذا الرابط الذي يضمن الانتقال السلس من البناء الأول إلى الثاني أول قل همزة وصل توصل الأول بالثاني، ويتشكّل العرض باعتباره بناء من "مجموعة من الأبنية الصغرى التي تتراص لصنع العرض، ... وهي كالآتي:

(أ)– **بناء تمهيدي:** يتمّ فيه التمهيد للدّخول في الغرض الأساسي"[1] (الأساس)، ففي الإجازة الأولى للمجيز(عبد المؤمن الحسن الجزائري)، وجدناه يتشكل من بنيتين هما:

- **بنية فضل العلم والعلماء:** حيث يقوم المجيز بالتأكيد على فضل العلم والعلماء بصفة عامة دون أن يفصّل وقد تكون لحاجة في نفس المجيز كأن يمثّل للمجاز بهم حتى يتّخذهم قدوة ويسير على نهجهم ما اِستطاع إلى ذلك سبيلاً، وذلك بيانًا لعظم شأن العلم ومن جعله هدفه ومبتغاه، ثم ينتقل إلى التخصيص، بحيث يذكر العالم المقصود بالإجازة ألا وهو(ابن زاكور الفاسي) فيقول: " وبعد، فإن العلم أشرف ما يتحلى به الإنسان، وأكمل وصف يتكمّل به الأعيان، وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مقرّر مشهور، ومعروف بين أهله مذكور، وأن ممّن ضرب فيه بنصيب وافر، وحَصَّل منه القدر المفيد الظّاهر، الفقيه النبيه، العالم الوجيه، اللّوذعي الأوحد، جامع الفضائل التي لا تجحد أبا عبد الله الشيخ محمد قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي – حفظه الله وحرسه – وبكل المبّرات والمسّرات آنسه"[2].

والبنية نفسها نجدها في إجازة (المقّري) لأولاد مفتي (الشيخ العمادي)، حيث أنه هو الآخر عمد إلى بيان فضل العلم ومكانته عند أهله وخاصته بشكل عام، ثم ينتقي منه علم السنّة الشّريفة ليكون لذلك العلم الذي يُبْذل في سبيله المحال بغية تحصيله بأي ثمن كونه سبب سعادته في الدنيا والآخرة فيقول: (الرجز)

"وَبَعْـــدُ فَـــالعِلْمُ عَظِـــيمَ القَـــدْرِ وَلَـــيْسَ مَـــنْ يَـــدْرِي كَمَـــنْ لاَ يَـــدْرِي
وَلَمْ تَـــزَلْ هِمَّـــةُ أَهْـــلِ المجْـــدِ مَنُوطَـــةٌ بِنَبِيـــلِ عِلْـــمٍ مُجْـــدِي
وَمِنْـــهُ عِلْـــمُ السُـــنَّةِ الشَّـــرِيفَةِ لَأَنَّـــهُ ضِـــلاَلَهُ وَوَرِيفُـــهْ
فَمَـــنْ دَرَى الأَخْبَـــارَ وَالشَّـــمَائِلَ لَمْ يَـــكُ عَـــنْ صَـــوْبِ الهُـــدَى بِمَائِـــلْ
وَكَـــمْ سَمَيْـــدَعٌ لِأَجْلِـــهِ رَفَـــضَ أَوْطَانَـــهُ وَثَـــوْبَ تِرْحَـــالٍ نَفَـــضْ

[1] فضيلة عماري، مرجع سابق، ص: 40.
[2] ابن زاكور، مصدر سابق، ص:56.

وَكَيْـــفَ لاَ وَهُـــوَ أَجَـــلُّ مَـــا طَلَـــبَ مُوَفَّـــقٌ يَـــرُومُ حُسْـــنَ المَنْقَلَـــبْ
لِأَنَّـــــهُ وَسِـــــيلَةُ السَّـــــعَادَهْ وَالعِـــــزِّ فِي الإِبْـــــدَاءِ وَ الإِعَـــــادَهْ"[1]

أمّا في إجازة (**قدورة**) فلا نجد ذلك الرابط الذي عهدناه في الإجازتين السابقتين، -البعدية- فالمجيز عمد إلى وصف المقصود بالإجازة (**ابن زاكور**) مباشرة بأوصاف الكمال، بل الأكثر من ذلك أنه أنزله منزلة العلماء أنفسهم، فلم نجده تعرّض إلى بنية **فضل العلم والعلماء** كما وجدناه في سابقتيها، ولعل ذلك يعود إلى خوف الإطالة وإبتغاء الإيجاز دون الإطناب، فيقول:" قد أجبتُ الفقيه النبيل الأصيل، المقتني ذخائر نفيس العلوم، ونفيس ذخائر الفهوم، بالغدو والأصيل، المحصّل لخصال الكمالات كل التحصيل، حائز قصبات السبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل العلامة النحرير السيد [أبا] عبد الله محمد قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور، كان الله لنا وله دنيا وآخرى"[2].

هذا عن أهم ما ميَّز بنية فضل العلم والعلماء ثم لنلقي نظرة على بنية موالية مكمّلة لها، وقد توجد في بعض الإجازات وتنعدم في أخرى وهي:

- **بنية الحكي**: في هذه البنية يقوم المجيز بسرد أحداث رحلته التي قضاها في طلب العلم متنقلاً من بلاد إلى أخرى قصد الظّفر به وتحقيق ما يأمل فيه، واصفا الأماكن التي وطأتها قدماه مادحًا إياها وقاطنيها لما لقاه من كرم وحسن معاملة من طرفهم، وهذه البنية نجدها موظفة في متن إجازة (أحمد المقّري) و(عبد المؤمن الحسني الجزائري) دون إجازة (قدورة)، فعن الأول يقول في هذا الإطار:(الرجز)

"وإنَّـــنِّي لَمَّـــا أَنْتَحَيْـــتُ المشْـــرِقَا مُيَمَّمَـــا بَـــدْرَ اِهْتِـــدَاءٍ مُشْـــرِقَا
أَلْقَيْـــتُ فِي مِصْـــرَ عَصَـــا التَّسْـــيَارِ بَعْـــدَ بُلُـــوغِ أَشْـــرَفِ الـــدِّيَّارِ
وَبَعْـــدُ ذَا جِئْـــتُ دِمَشْـــقَ الشَّـــامِ مَسْـــكَنُ مَـــنْ يُـــزْدَانُ بِاحْتِشَـــامِ
فَشَـــاهَدَتْ عَيْنَـــايَ فِيهَـــا مَـــا مَـــلَأَ قَلْـــبِي سُـــرُورًا إِذَا بَلَغَـــتْ المـــأْمَلَا

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني ، مصدر سابق، ج2، ص:428.
[2] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص:56.

مَدِينَـــــــةٌ فَيَّاضَـــــــةُ الأَنْهَـــــــارِ فَضْفَاضَـــــةُ الأَثْـــــوَابِ وَالأَزْهَـــــارِ
أَرْجَاؤُهَـــــا زَاكِيَـــــةُ العَبِـــــيرِ وَمَـــــدْحُهَا يَجِـــــلُّ عَـــــنْ تَعْبِـــــيرِ
وجُـــــلُّ أَهْلِيهَـــــا بِحُـــــبِّي دَانُـــــوا مَـــــعَ أَنَّ مِثْلِـــــي مِـــــنْهُمْ يُـــــزْدَانُ
فَلَاحِظُـــــوا بِـــــالأَعْيُنِ الكَلِيلَـــــه عَبْـــــدًا غَـــــدَا تَقْصِـــــيرُهُ دَلِيلَـــــهْ
وَقَـــــابِلُوا عَيْـــــبِي بِمَـــــا اِقْتَضَـــــاهُ فَضْـــــلٌ لَهُـــــمْ رَبُّ الـــــوَرَى اِرْتَضَـــــاهُ"[1]

هذا عن بنية الحكي عند (أحمد المقّري)، غير أنّ ما ألفناه عند (عبد المؤمن الجزائري) مغايرا تمامًا، حيث أنه سردَ علينا حلول المجاز (اِبن زاكور) بالجزائر وذكره للمؤلفات التي قرأها مع المجيز جلّها أو بعضها، كما تطرّق إلى ذكر المناظرة التي وقعت بين المجاز وبين علماء الجزائر، والذي كان المجيز من بينهم ، أين وجده على قدر لا يستهان به من العلم ، حيث يقول:" فإنه لما حلَّ حضرة الجزائر، التي عمَّ أمنها القاطن والزائر، قرأ معنا صدرًا من "جمع الجوامع" للتاج السبكي، وبعضًا من تلخيص المفتاح* من باب الفصل والوصل، وأرجوزة ابن التلمساني في الفرائض، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في المسائل العلمية، والنوادر الأدبية، فألفيته سابق الحلبة ، ودرّاك المسائل الصعبة"[2]، فهنا المجيز يعترف ضمنيًّا بأن المجاز(ابن زاكور) لا يشقّ له غبار في مقدرته وتمكّنه العلمي والأدبي، حتى وإن لم يصرّح بذلك.

لنمر بعدها إلى البناء الثاني الموالي للبناء التمهيدي المشكّل للبناء العام والكلّي (العرض) وهو:

(ب)– البناء الاستجازي: هذا البناء يختلف عن البناء الأول لكونه لا يمهّد للعرض بقدر ما يمهّد للغرض الأساس من العرض ألا وهو(الإجازة) التي هي موضوع الدراسة ومحورها، ففيه يكون إقرار المجيز بإجازة مجازه وتلبية طلبه الذي من أجله قصده واختاره، ففي بعض الإجازات نجد المجيز يعتذر

[1] أحمد المقّري، مصدر سابق، ص:153.

* المسمى تلخيص المفتاح في المعاني والبنيان وهو تلخيص لكتاب مفتاح العلوم للسّكاكي تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم جلال الدين العجلي القزويني الشافعي توفي سنة 739هـ. انظر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د. ط)، (د.ت)، ص:5.

[2] ابن زاكور، مصدر سابق، ص:56.

ويتردّد في قبول الطلب لعجزه وتقصيره استجازته، لأنه يرى نفسه غير أهل لذلك وهذا ما يظهر جليًّا في متن إجازة (عبد المؤمن الحسني الجزائري) الذي يقول فيها:" فالتمس مني أن أجيزه فيما قرأ معي أو سمعه مني، فاعتذرتُ إليه من التقصير، والباع القصير، وعدم التأهّل لأن أجاز فضلا عن أجيزَ"[1]. فالمجيز هنا يبرز تواضعه كيف لا وهي صفة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، من خلال أنه حَطَّ من منزلته من كونه أستاذًا وشيخًا إلى كونه طالبًا وتلميذًا يتشارك معه القراءة، لذلك ألفناه يرى نفسه غير كفء لكي يجيزَ لأنّه لا يملك من العلم إلا القدر القليل، الذي لا يخوّله بأن يكون بمنزلة المجيز، بل العكس من ذلك فهو في حاجة ماسة لأن يستزيد ويتشرَّب ما أتاحت له الفرصة من منابع العلم المختلفة، غير أن المجاز لم يقبل بذلك وراح يصرّ على الطلب حتى نال ما كان مُناه ورجاه، فيواصل المجيز قائلاً: "ولستُ محسنًا للإطناب ولا متمكّنا من الكلام الوجيز، فلم يقبل منّي ذلك، وصادف وقتًا لم يمكّني فيه إسعافه بإجاده ما هنالك"[2].

والأمر نفسه قام به(**أحمد المقّري**) لمَّا طلب منه (**عبد الرحمن العمادي**) إجازة أبنائه الثّلاث السّابق ذكرهم فراح يقول:(الرجز)

"وَكَـــانَ مِـــنْ جُمْلَـــتِهِمْ أَبْنَـــاؤُهُ عِمَـــادُ دِيـــنٍ قَـــدْ عَـــلاَ بِنَـــاؤُهُ
وَصَـــنْوُهُ الشِّـــهَابُ مَـــنْ تَوَقّـــدَا فَهُمَـــا وَإِبْـــرَاهِيمَ سَـــبَّاقُ المِـــدَى
وَهُـــوَ الَّـــذِي قَـــدْ اِبْتَغَـــى الإِجَـــازَهْ لَهُـــمْ بَوَعْـــدِ طَالِبًـــا إِنْجَـــازُهْ
وَكَتَـــبَ القَصِـــيدَةَ الطَّنَّانَـــهْ فِي ذَاكَ لِي مُهْتَصَـــرَا أَفْنَانُـــهْ
وَإِنَّهُـــمْ كَحَلَقَـــةٍ قَـــدْ أُفْرِغَـــتْ دَامَـــتْ لَهُـــمْ آلاَءَ فَـــيْضٍ سُـــوِّغَتْ
فَلَـــمْ أَجِـــدْ بُـــدًّا مِـــنَ الإِجَابَـــهْ مَـــعَ كَـــوْنِ جَهْلِـــي سَـــادِلاً حِجَابَـــهْ"[3]

[1] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 56.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] أحمد بن محمد المقري التلمساني ، مصدر سابق، ص:428.

وهنا أيضا نلاحظ أن المجيز هو الآخر لم يجد سبيلاً غير الإجابة بالقبول على الرغم من أنه يرى نفسه جاهلاً وغير قادر على الاستجابة لطلب الإجازة.

أمّا بالنّسبة لإجازة (قدّورة) فهي تفتقر لهذا البناء، وكما أشرنا آنفا أنّ كاتبها غير محب للإطناب بتاتًا، لكننا إذا قرأنا ما بين السطور، نرى أنه أجاز مجازه مباشرة من دون تردّد وما يدلّ على ذلك قوله:" وأجزته إجازة مطلقة تامّة"[1]،حيث يتراءى لقارئها منذ الوهلة الأولى بأن المجيز كان يتحرّى إجازة مجازه على أحرّ من الجمر.

لنغوص بعدها في صلب العرض ولبّ المتن والغرض من الإجازة ككلّ وغاية كل مجاز وهي :

(ج)– البناء الإجازي: إن البناءين السابقين ما هما إلا تقديم للبناء الإجازي؛ حيث لا يجد فيه المجيز بدًّا من إجازة مجازه والإذْنِ له بأن يرويَ المرويات المختلفة من خلال لفظة (أجزته)، وهذا ما نجده متبدّيا في إجازة (قدّورة)، وإن كنا قد أشرنا إليها في معرض حديثنا عن البناء الاستجازي، إذ يقول: "وأجزته إجازة مطلقة تامة عامة على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولاً ومنقولا، توحيدًا ونحوًا، فليحدّث بذلك إن أحبّ عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين، نفعني الله وإياه بهم آمين"[2]. يبدو واضحا هنا أن المجيز قد أباح لمجازه أن يرويَ عنه مقروءاته عقلية كانت أم نقلية، كما أباح له أن يتحدّثَ ويخبر عن الذين أخذ عنهم وأخذوا عنهم إن أراد ذلك، فهو لم يلزمه بذلك ولم يذكر أسماءهم حتى بل اِكتفى بالتعميم فقط.

أمّا عن إجازة (عبد المؤمن الحسني الجزائري) فالأمر مختلف حيث يقول: "فأجزته بذلك على شرطه، المعتبر عند أهله، بإجازة الحافظ الشهير علاّمة مصر، وحافظ العصر، أبي الحسن الشيخ علي

[1] رحلة اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 56.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

الشَّبرامِلسي[1]، عن الشّيخ إبراهيم اللقاني[2]، والشيخ عبد الرحمن اليمني[3]، بروايتها معًا عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري[4]، عن الشيخ نجم الدين الغيطي[5]، عن الشيخ زكرياء عن ابن حجر بسنده المعروف، وبسند عال عن الشيخ علي المذكور، عن شيخ الفقهاء والمحدّثين أحمد بن خليل السّبكي[6] عن نجم الدّين، عن الشّيخ زكرياء، عن اِبن حجر ... وكما أجزته أن يروي عني هذه المنظومة ويشرحها إن أمكنه أو من أهّله لله لذلك، وله الأجر التّام، والفضل السّابغ العام، وهذا أوّلها[7]":(الرجز)

يَقُـــولُ رَاجِـــي رَحْمَـــةَ الـــمُهَيْمِنِ مُحَمَّـــدُ نَجْـــلُ اِبْـــنِ عَبْـــدِ الـــمُؤْمِنِ[8]

إنّ المجيز في هذه البنية قد أجاز لمجازه بأن يرويَ جميع ما أخذه وما رواه عنه شيوخه بالتسلسل معتمدًا في ذلك "العنعنة"، كما أنه أَذِنَ له أن يرويَ عنه منظومه والمتمثّل في أرجوزة له في العقائد

---

[1] هو علي بن علي نور الدين أبو الضياء الشبراملسي الشافعي القاهري خاتمة المحققين وولي الله تعالى محرر العلوم النقلية وأعلم أهل زمانه لم يأت مثله في دقة النظر وجودة الفهم وسرعة اِستخراج الأحكام من عبارات العلماء وقوة التأني في البحث واللطف والحلم والإنصاف ... توفي سنة 1087هـ . انظر: المحبي، مصدر سابق، ج3، ص: 174.

[2] و إبراهيم بن الحسن بن علي أبو إسحاق اللقاني المالكي المصري أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في الكلام وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة ... توفي سنة 1041هـ. انظر: المحبي، مصدر سابق، ج1، ص:6 .

[3] هو عبد الرحمن بن شحاذة المعروف باليمني الشافعي شيخ القراء وإمام المجودين في زمانه وفقيه عصره وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه ولد بمصر وبها نشأ وقرأ بالروايات السبع... توفي سنة 1050هـ. انظر خلاصة الأثر، مصدر سابق، ج2، ص: 358.

[4] هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين بن عز الدّين بن ناصر الدين بن عز العرب أبو النجا السنهوري المصري المالكي الإمام الكبير المحدّث الحجة الثبت ... مفتي المالكية ... توفي سنة 1015هـ. انظر: المصدر نفسه ، ج1 ،ص: 204.

[5] هو الإمام الحافظ الديار المصرية ومسندها نجم الدين محمد بن أحمد الغَيطي بفتح الغين المعجمة المصري الشافعي المتوفي سنة 983هـ أو984هـ انظر: عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، ج1، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، ط2، 1982، ص: 888.

[6] الشيخ أحمد بن خليل بن ابراهيم بن ناصر الدين الملقب شهاب الدين المصري الشافعي السبكي نزيل المدرسة الباسطية بمصر وقّف المرحوم القاضي عبد الباسط وخطيبها وإمامها ... توفي سنة 1032هـ. انظر: المحبي، مصدر سابق، ج1، ص: 185.

[7] لا يسعنا في هذا المقام أن نذكر الأرجوزة كلها كونها طويلة تتعدى ثلاث صفحات، للاستزادة انظر: اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 58-61.

[8] المصدر نفسه، ص : 57.

والعبادات ويشرحها إن كان قادرًا على ذلك هو أو غيره ممّن يمتلكون قدرة الشّرح والتّحليل. إلا أنّنا ونحن نستقرئ إجازة (**أحمد المقّري**) هو الآخر الذي عمد إلى إجازة مجازيه وتلبية طلب والدهم، لم نجده ذكر سلسلة المشيخة الذين أخذ عنهم وروى لهم كلّهم واعتذر عن ذلك من خلال قوله:(الرجز)

"فَقَدْ أَجَزْتُهُمْ بِمَا رَوَيْتُهُ طَرًّا وَمَا اِرْتَجَلْتُ أَوْ رَوَّيْتُهُ
وَكُلُّ مَا صَنَّفْتُ مِنَ الفُنُونِ مُؤَمَّلُ التَّحْقِيقِ لِلظُّنُونِ
وَمَا أَخَذْتُ عَنْ شُيُوخِ المغْرِبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كُلِّ خَبَرٍ مُغْرِبِ
وَلِي أَسَانِيدٌ يَطُولُ شَرْحُهَا شَيَّدَ عَلَى تَقْوَى الإِلَهِ صَرْحُهَا
وَلَوْ سُرِدَتْ كَلَّ مَرْوِيَاتِي هُنَا لَطَالَ القَوْلُ فِي الأَبْيَاتِ
وَكُلُّ طُولٍ غَالِبًا مَمْلُولُ وَحَدُّ مَنْ يُعْنَى بِهِ مَقْلُولُ
فَلْنَقْتَصِرْ إِذَنْ عَلَى القَلِيلِ تَبَرُّكًا بِالمِطْلَبِ الجَلِيلِ"[1]

لنتوقّف هنا عند هذه الأبيات محلّ ذكر المجيز(أحمد المقّري) لفظة السّند، الذي مررنا به في الفصل النّظري كلفظ وليس كنية.

* **بنية السّند:** هذه البنية هي ربيبة البناء الإجازي – إن صحَّ التعبير – تكاد لا تفارقه في أغلب الإجازات، ويأخذ هنا معنى الفهرسة، – وقد أوردنا لها هي الأخرى تعريفا كافيًا وافيًا في الفصل الأول– يأتي بها المجيز حتى يذكر أسماء المشايخ الذين أخذ عنهم، أو ليَسْرُدَ المرويات والعلوم التي أجيز فيها، وقد يذكرهم معًا في إجازات أخرى. وفي هذا المقام يقول (**أحمد المقّري**) معتمدًا العنعنة في ذلك: (الرجز)

" وَقَدْ أَخَذْتُ جَامِعَ البُخَارِي عَنْ عَمِّي الحَائِزِ لِلْفَخَارِ
المُقَّرِيُّ سَعِيدُ الإِمَامُ عَنْ مُحَمَّدَ يُدْعَى خَرُوفًا حِينَ عَنَّ

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني ، مصدر سابق، ج2، ص:429.

التُّونِسِـــــيُّ الطَّيِّـــــبُ الأَنْفَـــــاسِ نَزِيـــــلُ حَضْـــــرَةِ المُلُـــــوكِ فَـــــاسِ
عَـــن الكَمَـــالِ القَـــادِرِيِّ الـــمُرْتَضَى عَـــنْ الحِجَـــازِيِّ عَـــنْ الحِـــبْرِ الرَّضَـــى
نَجْـــلُ أَبِي مُسْـــنَدِ الإِسْـــلَامِ عَبْـــدِ الأَوَّلِ عَـــنْ الشَّـــهِيرِ الـــدَّاوِدِيِّ الـــمُعْتَلِي
عَـــنْ السَّرَخْسِـــيِّ عَـــنْ الفِرَبْـــرِي عَـــنْ البُخَـــارِيِّ الإِمَـــامُ الحِبْـــرْ
وَفَضْـــلُهُ أَظْهَـــرُ مِـــنْ أَنْ يُـــذْكَرْ وَعِلْمُـــهُ المَعْـــرُوفُ غَيْـــرُ الـــمُنْكَرْ
وَمُسْـــــلِمٍ بِـــــهِ إِلَى الكَمَـــــالِ عَـــنْ عَلَـــمِ الـــدِّينِ أَخِـــي الجَـــلَالْ
مَنْسُـــوبِ بَلْقِـــينَ عَـــنْ التَّنُـــوخِي عَـــنْ اِبْـــنِ حَمْـــزَةٍ عَـــنْ الشُّـــيُوخْ
كَـــابْنِ الـــمُقِيرِ عَـــنْ اِبْـــنِ نَاصِـــرْ عَـــنْ اِبْـــنِ مُنْـــدَةَ وَهُـــوَ القَاصِـــرْ
عَـــنْ جَـــوْزَقِيٍّ قَـــدْ رَوَى عَـــنْ مَكِّـــيٍّ عَـــنْ مُسْـــلِمٍ نَـــافِي دَيَـــاجِي الشَّـــكْ
فَلْيُخْـــبِرُوا عَـــنِّي بِـــذَا وَالبَـــاقِي مِـــنْ سِـــتَّةٍ حَـــائِزَةِ السِّـــبَاقْ
كَـــذَا مُوَطَّـــأُ الإِمَـــامِ مَالِـــكْ إِمَامُنَـــا مُنِـــيرُ كُـــلِّ حَالِـــكْ
وَمُسْـــنَدُ الفَـــذِّ الرِّضَـــى اِبْـــنُ حَنْبَـــلْ وَالـــدَّارِمِيُّ ذِي الثَّنَـــاءِ الأَجْمَـــلْ
وَالطَّبَـــرَانِيُّ وَمَـــا أَرْوِيـــهْ مِـــنَ الـــمَعَاجِمِ بِمَـــا تَحْوِيـــهْ
وَكُلُّـــهُ تَشْـــمُلُهُ الإِجَـــازَهْ بْشَـــرْطِهَا عِنْـــدَ الَّـــذِي أَجَـــادَهْ
فَلْتَقْبَلُـــوهُ فَهِـــي مِـــنْ جُهْـــدِ الـــمُقِلْ إِذْ لَسْـــتُ بِالمَـــطْلُوبِ مِـــنِّي أَسْـــتَقِلْ
وَمِـــنْ أَسَـــانِيدِي عَـــنْ القِصَـــارْ مُفْـــتِي الأَنَـــامِ بَهْجَـــةُ الأَعْصَـــارْ
عَـــنْ شَـــيْخِهِ خَـــرُوفٍ الرَّاقِـــي الـــدَّرَجْ عَـــنْ الشَّـــرِيفِ الطَّحْطَحَـــائِي فَـــرَجْ
قَـــالَ: سَمِعْـــتُ المصْـــطَفَى فِي النَّـــوْمْ صَـــلَّى عَلَيْـــهْ اللهُ كُـــلَّ يَـــوْمْ
يَقُـــولُ: مَـــنْ أَصْـــبَحَ، يَعْـــنِي آمِنًـــا فِي سِـــرْبِهِ، الحَـــدِيثِ فَـــاعْرَفْ كَامِنَـــا"[1]

كما نجد(عبد المؤمن الحسني الجزائري) اعتمد هو الآخر هذه البنية (بنية السّند)، لكنه اكتفى في ذلك بذكر مشايخه الذين أجازوه من دون أن يذكر المرويات التي أجازوه فيها فيقول: "وكما أجازني أيضًا العالم الماهر، العلم الظاهر، نزيل مدينة الرسول المطهر، ومدرّس حَرَمه المكرم المنور، وأبو

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني ، مصدر سابق، ج2، ص: 429.

العباس الشيخ أحمد بن تاج الدين، عن شيخ الإسلام، بالبلد الحرام، جمال الدّين الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي، عن شيخ وقته شمس الدّين محمد بن أحمد الرملي[1]، عن الشيخ زكرياء عن اِبن حجر بسنده المتصل، وطرقه المعروفة إلى رسول الله ﷺ"[2]، غير أننا لم نجد أن (قدورة) قد عمد إلى ذكر هذه البنية في استجازته لـ (ابن زاكور)، بل اِكتفى بذكر مشايخه بصفة عامة دون تفصيل في قوله: "عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين، نفعني الله وإياه بهم آمين"[3]، وكما قلنا سابقًا إن(قدورة) محبّ للإيجاز كاره للإطناب، وقد ركّز في إجازته هذه على الإجازة (قبول الاستجازة) أكثر من تركيزه على ذكر السّند.

ومجمل القول لقد حاولنا – قدر الإمكان – وانطلاقًا من النماذج المقترحة للدّراسة أن نلّم بجميع مكوّنات العرض وبنياته الأساسة نثرًا كانت أو شعرًا من بناء تمهيدي إلى بناء استجازي فالبناء الإجازي الذي يُعَدُّ جوهر النظام الإجازي وهيكله، ولتلخيص أهم ما احتواه العرض من أبنية اِرتأينا أن نمثّل له بمخطّط بغية التّوضيح أكثر وهو كالآتي:

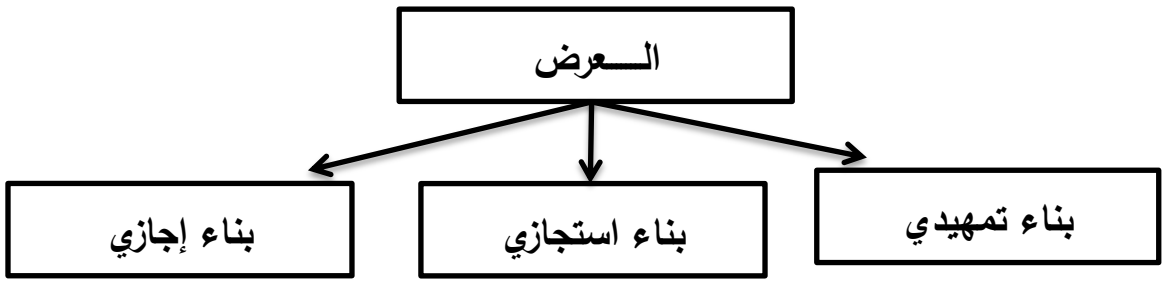

3/– الخاتمة: إن الخواتيم في هذه الإجازات المدروسة تباينت بين النثر والشعر، إلا أنها اعتمدت العناصر ذاتها وهي:

[1] هو محمد بن أحمد بن حمزة الملقب شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشّهير بالشّافعي الصغير وذهب جماعة من العلماء إلى أنه مجدّد القرن العاشر ووقع الاتفّاق على المغالاة بمدحه وهو أستاذ الأستاذين واحد أساطين العلماء وأعلام نحاريهم محي السنّة وعمدة الفقهاء في الآفاق ... توفي سنة 1004هـ، انظر: المحبي، مصدر سابق، ج3، ص: 342.

[2] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 429.

[3] المصدر نفسه، ص: 71.

(أ)– **الختم**: عادة ما يكون هذا الختم حمد المجيز وثناءه على الفراغ من كتابة إجازته لمجيزه مع ذكر اِسمه (المجيز) مثلما هو الحال في إجازة (عبد المؤمن الحسني الجزائري) لمجازه (اِبن زاكور)، حيث يقول: "الحمد لله قد أتمّها كاتبها محمد بم محمد بن عبد المؤمن – وفّقه الله بمنّه"[1].

– **الدعاء والصلاة على النبي** : وقد تكون بعض الإجازات الأخرى مختومة بالدّعاء والصّلاة على أفضل خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، لينتقي بعد ذلك المجيز أسما معاني التّواضع وهي من آداب المجيز والمجاز على حد سواء حتى يصف بها مكانته ومنزلته العلمية، وفي هذا الصدد يقول(قدّورة) في خاتمة إجازته: "والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله أجمعين، وكتب العبد الفقير إلى الله شاكره دائمًا على ما أسداه وأولاده"[2]. والملاحظ هنا أن(قدورة) على الرغم من العلم الذي ناله فهو يرى نفسه فقيرًا، ويحتاج إلى أن يبحر أكثر في أعماق العلم باعتباره بحر في أحشائه الدرّ كامن لا يعرف صدفاته إلا من اِخترق سطحه واكتشف أغواره.

هذا عن خواتم النّثر لننتقل بعدها إلى الخاتمة الشّعرية والمتمثّلة في خاتمة (أحمد المقّري) أين بدأ فيها بذكر اِسمه كونه المجيز أولاً ثم اِنتقل إلى الصّلاة على النّبي عليه أفضل الصّلاة والسّلام بعدَ أن ذكر تاريخ كتابة الإجازة فيقول:(الرجز)

وَخَـــطَّ هَـــذَا المقَّـــرِيُّ العَاصِـــي أُجِـــيرُ يَـــوْمَ الأَخْـــذِ بالنَّوَاصِـــي
سَـــنَةَ سَـــبْعٍ وَثَلَاثِـــينَ تَلَـــتْ أَلْفًـــا لِهِجْـــرَةِ بَيَاسِـــينَ عَلَـــتْ
عَلَيْـــهِ أَزْكَـــى صَـــلَوَاتٍ تَسَـــتَّمْ نَرْجُـــو بِهَـــا الزُّلْفَـــى وَحُسْـــنُ المـــُخَتَّمْ"[3]

وهو أيضا أبان عن صفات التّواضع التي لازمته منذ بداية الإجازة وحتى نهايتها غير أنّه يظهر هنا وكأنه خائفًا؛ فعلى الرّغم من سعة علمه واطّلاعه فهو يرى نفسه عاصٍ، فما بالك بمن هو أدنى منه علمًا ومعرفة.

[1] رحلة اِبن زاكور، مصدر سابق ص:62.
[2] المصدر نفسه، ص:71.
[3] المصدر نفسه، ص:62.

(ب)– التاريخ : لتختم الإجازات قيد الدراسة بذكر تاريخ إنهاء كتابة الإجازة، وهذا يعدّ شرطًا أساسًا للتوثيق يلازم الإجازات بشتّى أنواعها نثرية كانت أو شعرية، ممّا يدلّ على أن الإجازة وثيقة رسمية مثلما هو الحال بالنسبة للوثائق الرسّمية الحاليّة، ففي إجازة (عبد المؤمن الحسني الجزائري)، فقد فرغ من كتابتها في "ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين [23] من جمادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف [1682/1094م]، اِنتهى"[1]، أما إجازة (قدورة) فقد أنهى كتابتها في" أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألفِ[1094هـ/1682] انتهت "[2]، أما عن تاريخ خطّه للإجازة المقدمة فقد ذكرناه من قبل ، وبالنسبة لإجازة أحمد المقري فقد ذكرنا تاريخ الانتهاء من كتابتها في الختم.

وهكذا نكون قد فرَغنا من توضيح مكوّنات النظام الإجازي كلاًّ على حدى، محاولين بذلك إخراج الهيكل البنائي للوجود والتعريف به وتوضيحه لمن يجهله، جاعلين من النماذج المقدّمة أنموذجا للإجازات التي وجدت بهذا العصر– العصر العثماني–.

[1] ابن زاكور، مصدر سابق، ص:62.

[2] المصدر نفسه، ص: 71.

الفصل الثالث:

البناء الفني للإجازة

- توطئة

أولا: المحسنات البديعية

1/- اللفظية

2/- المعنوية

ثانيا: الصور البيانية

1/- التشبيه

2/- الاستعارة

3/- الكناية

توطئة:

يعتبر فنّ الإجازة من الفنون التي يستعين بها صاحبها للتّعبير عمّا يدور بداخله من تعابير ومواقف ومشاهد ليترجمها بعد ذلك بصورة فنية في أسطر من إنشائه نثرية كانت أو شعرية، يعكس من خلال شكلها الداخلي والخارجي أدب العصر الذي وجدت فيه وأهمّ ما ميّزه في ذلك الحين ولعلَّ ما يلفت الانتباه أثناء الاطّلاع على إجازات هذا العصر كثرة اِستخدام أصحابها للمحسّنات البديعية والصّور البيانية وهذا ما سنسلط الضوء عليه في هذه الدراسة الفنّية للإجازات المنتقاة.

أولا: المحسّنات البديعية:

إذا تحدّثنا عن الألوان البديعية في الإجازات، فإنه يجدر بنا أن نتحدّث أولاً عن علم البديع بوصفه علمًا يتولّى دراسة المعنى واللفظ من حيث الصيّاغة وإعتماده ألفاظًا خاصّة تُبْهِجُ العقل وتنعش النّفس وتثير الحسّ الجمالي لدى المتلقّي، فهو "يدرس جماليات الأداء والصيّاغة دراسة جمالية فنية أو وجوه تحسن الكلام"[1]. والمحسّنات في عُرْفِ علم البديع نوعان:

1/– محسّنات معنوية: " وهي التي يكون التّجميل بها راجعًا إلى المعنى أصلاً، وإن تَبِعَ ذلك اللّفظ فإنه غير مقصود"[2]، ويندرج تحتها كلاً من المطابقة (الطباق بنوعيه) والتورية، وهي كثيرة إلا أننا سنقتصر على هذين المحسّنين المعنويين.

فمن المحسّنات المعنوية البارزة في الإجازات قيد الدراسة نجد:

(أ)– المطابقة: وإن كانت لم تشغلْ مساحة كبيرة وتسمَّى "الطباق، والتضاد أيضا: وهي الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك اللفظين من نوع واحد اِسمين أو فعلين أو حرفين"[3].

والطباق نفسه يتفرّع إلى نوعين:

- **طباق إيجاب:** "وهو يجمع بين لفظين تضاد معنياهما وكل منها مُثْبَتٌ.
- **طباق سلب:** وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي"[4].

---

[1] إنعام فوّال عكّاري، المفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 1996، ص: 556.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] عبد المتعال الصّعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 1، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، (د، ط)، 2005 ،ص:573.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

وأصل التطابق التساوي في الضدّية، أما عن صور المطابقة في الإجازات المختارة فهي على النحو الآتي:

– إجازة (**قدورة**) **لـ** (**ابن زاكور الفاسي**) في قوله: "...حائز قصبات السّبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل"[1].

نجد المطابقة بين كلمتي (**الإجمال والتفصيل**) وهو طباق إيجاب؛ حيث جمع بين كلمتين تضاد معناهما وكل منهما مثبت.

وكذلك المطابقة بين كلمتي (دنيا وأخرى (الآخرة)) وهو طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معناهما وكل منهما مثبت في قوله: "... كان الله لنا وله دنيا وأخرى"[2] .

– هذا عن المطابقة في إجازة (**قدورة**) حيث يتّضح أنه اِعتمد على الطباق الإيجاب دون السّلب، وذلك حتّى يبيّن لنا مختلف العلوم التي تلقّاها المجاز (اِبن زاكور)، لننتقل بعدها إلى الإجازة الثانية للمجاز نفسه:

– إجازة (**عبد المؤمن الحسني الجزائري**) حيث يقول: "... ويهتدي بهما من جانب سبيل الصّواب أو ضلّ"[3]. المطابقة بين كلمتي (**يهتدي وظلّ**) وهو طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معناهما وكل منهما مثبت.

وكذلك المطابقة بين كلمتي (**القاطن والزائر**)، وهو طباق إيجاب؛ حيث جمع بين كلمتين تضاد معناهما وكلّ منهما مثبت في قوله: "...التي عَمَّ أمنها القاطن والزائر"[4]، كما نجد أيضا المطابقة في قوله: "...وبَعْضًا من تلخيص المفتاح من باب الفصل والوصل...، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في

[1] اِبن زاكور: مصدر سابق، ص: 71.
[2] المصدر نفسه، ص ن.
[3] المصدر نفسه، ص:56.
[4] المصدر نفسه، ص ن.

المسائل العلمية، والنوادر الأدبيّة"[1]. وتكمن المطابقة بين كلمتي (**الفصل والوصل**) و(**العلمية والأدبية**)، وهو كذلك طباق إيجاب، جمع هو الآخر بين كلمتين تضاد معناهما وكل منهما مثْبَتُ . بالإضافة إلى المطابقة بين كلمتي (**قرأ وسمع**) و(**أجاز وأجيز**) في قوله: "... فيما قرأ معي، أو سمعه مني ...، لأن أجاز فضْلاً عن أجيز"[2]. وهو طباق إيجاب حيث جمع بين كلمات تضادت معانيها وكلها مثبتة.

الملاحظ هنا اِعتماد (**عبد المؤمن الحسني الجزائري**) أيضا على الطّباق الإيجاب مثلما هو الحال بالنسبة للمجيز الذي سبقه (قدورة). لنمر بعدها إلى الإجازة الثالثة ونرى هل (المقّري) هو أيضا اِكتفى في إجازته على توظيف الطباق الإيجاب فحسْب أو كان له رأي آخر:

– في إجازة (**أحمد المقّري**)**لأولاد**(**العمادي**) نجد المطابقة بين كلمتي (**الضّعيف والقويّ**) وهو طباق إيجاب، جمع فيها المجيز بين كلمتين متضادتين في المعنى وكل منهما مثبت في قوله(الرجز)

"كَهْـفُ الضَّـعِيفِ وَالقَـوِيِّ المُـرْتَجَى بَـــابُ الهِـــدَايَاتِ وَلَـــيْسَ مُرْتَجَـــا"[3].

وقد اِعتمد دون السَّابقين على الطّباق السّلب في قوله:(الرجز)

"وَبَعْـــدُ فَـــالعِلْمُ عَظِـــيمُ القَـــدْرِ وَلَـــيْسَ مَـــنْ يَـــدْرِي كَمَـــنْ لاَ يَـــدْرِي"[4]

نجد المطابقة بين كلمتي (**يدري ولا يدري**) وهو طباق سلب، لأنه جمع فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي.

كما نجد المطابقة أيضا بين كلمتي (القليل والجليل)، وهو طباق إيجاب، حيث جمع بين كلمتين تضاد معناهما وكل منهما مثبتٌ في قوله:(الرجز)

[1] اِبن زاكور: مصدر سابق، ، ص: 56.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] أحمد المقري ، مصدر سابق، ص: 164.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

"فَلْنَقْتَصِـــرْ إِذًا عَلَـــى القَلِيـــلِ تَبَرُّكًـــــا بِالمـــــطْلَبِ الجَلِيـــــلِ"[1]

وبعد أن عرضنا صور المطابقة في الإجازات المختارة بقي أن نشير إلى جماليات هذا المحسّن البديعي ، والتي تكمن في أنه يجمع بين الأضداد ويلمّ شتات المتنافرات في موضع واحد فيحدث في الذّهن ضربًا من الانتقال السّريع بين اللفظ وضدّه والشيء ومقابله، حيث "يتحقق إدراك هذه الإحاطة بالمتباعدات في الواقع مما ينشط الفعالية الإدراكية، كما يتأتّى شيء من التعجّب والإدهاش اللّذين يبرزان المعنى المراد توصيله"[2] من قِبَل المخاطِب (المجيز) إلى المخاطَب (المجاز)، فهو يؤثّر في نفس المتلقّي وينقل شعور المرسِل ، وبذلك فأسلوب المطابقة يخاطب العقل والعاطفة في وقت واحد ويكون هذا الأسلوب لونا أدبيًا مقبولاً إذا اِبتعد عن التكلّف وجاء عَرَضًا وفق متطلّبات الموقف، وهذا ما ألفناه مع الإجازات محلّ الدراسة، حيث لم يستعمله الكاتب اِستعمالاً فيه تكلُّفًا ولا مبالغة. لنرى هل كان لبقية المحسّنات الاستعمال نفسه أم هناك مغالاة في توظيفها.

(ب) – التّورية: وهي "أن تكون الكلمة تحتلّ معنيين فيستعمل المتكلم اِحتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما اِستعمله"[3]؛ بمعنى أنها تتضمّن معنيان **أحدهما:** دلالة اللفظ عليه ظاهرة لكثرة اِستعماله فيه وهو **المعنى القريب، وثانيهما:** دلالة اللفظ عليه خفيّة لقلّة اِستعماله فيه وهو **المعنى البعيد، ثم يُراد المعنى الخفي** اِعتمادًا على **قرينة دالة عليه.**

– ففي إجازة (**قدّورة**) لـ (**ابن زاكور**) نجد التورية في قوله: "وحصَّل من القدر..."[4] فالمعنى القريب (**قدر الله وقضائه**)، وهو المعنى غير المقصود، بينما المعنى البعيد هو (**الكمّ**) وهو المعنى المقصود.

---

[1] رحلة المقري ، مصدر سابق، ص: 167.

[2] إنعام فوّال عكاري، مصدر سابق، ص: 556.

[3] اِبن أبي الإصبع المصري ،تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حقي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د، ط)، 1963، ص: 445.

[4] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 56.

وكذلك في قوله: "جامع"[1] تورية، حيث إنّ المعنى القريب هو (**المسجد**) وهو المعنى غير المقصود، والمعنى البعيد المقصود وهو (**يُلِمُّ / لامّ**)، فأما المعنى القريب لكلمة (**شمس**) فهو الكوكب الذي نستنير بنوره ونتدفأ بحرارته (**كوكب الشمس**)، وهو غير مقصود، بينما المعنى البعيد المقصود هو (اِسم المجاز الذي أخذ عنه الحسني الجزائري مروياته ضمن سلسلة الشيوخ المجيزين).

– أما التورية في إجازة (**قدورة**) للمجاز نفسه (اِبن زاكور) فلا نكاد نعثر ولو على تورية واحدة. ويعود سبب عدم توظيف المجيز لهذا النوع من المحسّنات اللفظية ميله إلى الصّراحة والتصريح بما يريد أن يوصله للمجاز دون إخفاء منه لما يريد أن يبوح به. فجاءت ألفاظه وعباراته بعيدة كلّ البعد عن لعبة المعنى المقصود وغير المقصود.

وكذلك التورية في كلمة (**صحّة**) في قوله: "...آثاره عن صحّة وما غوى"[2]، فالمعنى القريب لهذه الكلمة هو (**صحة نفسية وجسمية**) وهو المعنى غير المقصود في حين أن المعنى البعيد لها هو (**السّلامة**) وهو المعنى المقصود والمراد.

نجد أيضا التورية في كلمة (**الهدى**) في قوله: "لم يك عن صوب الهدى بمائل"[3]، حيث أن المعنى القريب هو (**اِسم فتاة**) وهو المعنى غير المقصود هنا، بينما المعنى المقصود هو (**سبيل وطريق الرّشاد**) وهو معنًى بعيد.

بالإضافة إلى التّورية في كلمة (**الجامع**) في قوله: "من جاءنا بالجامع الصّحيح "[4]، حيث أن المعنى القريب لهذه الكلمة هو (**المسجد**) وهو المعنى غير المقصود، أما المعنى البعيد وهو المعنى المقصود هو (**كتاب الجامع الصّحيح للبخاريّ**).

---

[1] اِبن زاكور: مصدر سابق، ص: 56.

[2] أحمد المقري، مصدر سابق، ص:164.

[3] المصدر نفسه، ص: 165.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

كما نجد إضافة لما سبق تورية في كلمة (**الأعلام**) في قوله: "وآله وصحبه الأعلام"[1]، فالمعنى القريب لهذه الكلمة هو (**العَلَمُ / الراية وجمعه أعلام**)، وهو المعنى غير المقصود، في حين أن المعنى البعيد والمقصود هو (**مجموعة من العلماء**).

إلاّ أننا لم نعثر على هذا النوع من المحسن المعنوي في إجازة المقرّي .

وبهذا نكون قد ختمنا أبرز مواطن توظيف هذا المحسّن البديعي، والتي زادت هي الأخرى بالإضافة إلى المطابقة المعنى وضوحًا والعبارة حسنا، كما دلّت على براعة الأديب – الذي لم يتكلّفها– ومقدرته وتمكنّه على الهروب من التّصريح بالمقصود عند إحساسه بالخطر، ويكون هذا حلاً في حالة ما إذا لم تضرّ بالمعنى وتخفيه قصد إظهار براعة الكاتب لا غير.

2/– محسّنات لفظية: " وهي التي يكون التّجميل بها راجعًا إلى اللّفظ أصلاً، وإن تَبِعَ ذلك تجميل المعنى فهو غير مقصود"[2]، ويندرج تحتها كلاً من السجع والجناس، وهي الأخرى كثيرة إلا أنّنا سنكتفي بدراسة هذين المحسّنين اللفظيين فقط.

إنّ النصوص الثلاث ثريّة بهذا النّوع من المحسّنات، لنقف على الغاية وسبب توظيفها:

(أ)– **السّجع:** هو "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[3]؛ أي توافق الكلمة الأخيرة من الجملة الأولى مع الكلمة الأخيرة من الجملة \ الجمل التي تليها في الحرف الأخير منهما. وهو لون من ألوان التوازن الصّوتي من خلال أنه يُكْسِبُ الكلام جرسا موسيقيا تستصيغه الآذان وتُلْفَتُ إليه الأنظار وتُؤَكَّدُ به المعاني.

[1] أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 167.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (إبن الأثير)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و وأولاده، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ص: 193.

كَثُرَ اِستخدام السّجع في الإجازات موضوع البحث، وسوف نتناول أهمّ صوره ومواطنه الواردة في الإجازات على النحو الآتي:

– في إجازة (**عبد المؤمن الحسني الجزائري لابن زاكور**) يَتَجَلَّى السّجع واضحًا في قوله: "...لا شريك له، ولا ضدّ ولا ندّ له"[1]، حيث اِتفقت الفواصل على حرف الدال. أيضا نجد السّجع في قوله: "...شهادة يضحّي بها العمل الموقوف مرفوعا، ويتّصل بها ما كان مقطوعا"[2]، اِتفقت الفواصل في هذه الجملة على حرف العين.

كذلك السّجع في قوله: "وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليله"[3]، حيث اِتّفقت الفواصل على حرف الهاء. بالإضافة إلى السّجع في قوله: "المرفوع قدره على جميع الخلائق، المعنعن خبر نعته بأكمل الخلائق، فالسّجع يكمن في اِتفاق الفواصل على حرف القاف. وفي قوله: "...سلامًا يرفع بهما كل معضّل، ويهتدي بهما من جانب سبيل الصّواب أو ضلّ"[4]، السجع يظهر في اِتّفاق الفواصل على حرف اللام، أيضا يبرز السّجع في اِتّفاق أواخر الفواصل في كلمتي (الإنسان والأعيان) على حرف النّون وعلى حرف الرّاء في كلمتي (مشهور ومذكور)، وفي كلمتي (وافر والظاهر)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (النّبيه والوجيه)، وعلى حرف الدّال في كلمتي (الأوحد وتجحد)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (حرسه وآنسه)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (الجزائر والزائر) وعلى حرف التّاء في كلمتي (العلمية والأدبية) وَفي كلمتي (الحلبة والصّعبة)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (التّقصير والقصير)، وعلى حرف الزّاي في كلمتي (أجيز وَ الوجيز)، وعلى حرف الكاف في كلمتي (ذلك وهنالك)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (شرطه وأهله)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (مصر والعصر)، وعلى حرف الياء في كلمات (البشرامّلسي وَاللقاني واليمني والسنهوري وَالغيطي)

[1] اين زاكور، مصدر سابق، ص: 56.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

وعلى حرف الرّاء في كلمتي (الماهر والظّاهر)، وعلى حرف الميم في كلمتي (الإسلام وَالحرام)، وعلى حرف الياء في كلمتي (الشّافعيّ وَالرّمليّ)، وعلى حرف الميم في كلمتي (التّام والعام).

– إنَّ القارئ لهذه الإجازة قراءة معبِّرة منغّمة يلاحظ ثراء هذا النّص بهذا النّوع من المحسّنات اللفظية (السّجع)، لنلقي نظرة على الإجازة التي تليها ونرى هل كان لها النّصيب نفسه من توظيف وإستعمال هذا المحسّن البديعي.

– وفي إجازة (**قدّورة لابن زاكور**) نجد السّجع في قوله: "...المفتي ذخائر نفيس العلوم، ونفيس ذخائر الفهوم"[1]، حيث اِتّفقت فواصل كلمتي (العلوم والفهوم) على حرف الميم، وعلى حرف اللاّم في كلمات (الأصيل والتحصيل والتفصيل) وعلى حرف اللاّم الممدودة في كلمتي (معقولا وَمنقولا) وعلى حرف النّون في كلمتي (المؤلفين وآمين)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (أسداه وَ أولاه).

لَمْ يُوَظَّفْ السّجع في هذه **الإجازة** توظيفه في **الإجازة** التي سبقتها، وهذا لأنها قصيرة وموجزة مقارنة بسابقتها أولاً، وثانيًا لأنه وُظِّف تلقائيا دون تكلّف منه ولا تباهيًا ببراعته اللفظية، ولأنّ ما يهمّه هو الإجازة في حد ذاتها لا ألفاظها وعباراتها. لننتقل بعدها إلى الإجازة الثالثة على التوالي ونُمْعِن النظر في اِستخدامها لهذا المحسّن، باعتبار أن هذه الإجازة إجازة (أحمد المقري لأولاد العمادي) هي إجازة شعرية فإن السّجع لا يوجد بالشعر وإنما يوجد في النثر فقط، واستبدل هذا المحسِّن اللفظي بغيره من المحسِّنات البديعية ليستبدل بالتصريع[2] ويَحُلَ محله (وهو عبارة عن استواء آخر جزء من صدر البيت، وآخر جزء في عجزه، في الوزن والروي والإعراب)، ونجده متمثَّلاً في البيت الأول من القصيدة حيث يقول(**أحمد المقري**):(الرجز)

"أَحْمَـــدُ مَـــنْ شَـــيَّدَ بِالإِسْـــنَادِ بَيْـــتَ العُلُـــومِ السَّـــامِيَ العِمَـــادِ"[3]

[1] اين زاكور، مصدر سابق، ص: 71.

[2] للاستزادة ينظر: صفي الدين حلي، شرح الكافية البديعية، تح: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ت)، ص:190.

[3] أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 164.

حيث اِتفق ضَرْبُ صدر البيت وعَروضِ عجز البيت نفسه على حرف الدّال في كلمتي (الإسناد والعماد) ، ولم يقتصر على البيت الأول فقط بل استمرّ مع بقية الأبيات الأخرى ،فنجده اتفقَ على حرف التاّء المربوطة في كلمتي (الرواية والغواية)، وعلى حرف النّون في كلمتي (زمن والثمن)، وعلى حرف الفاء الممدودة في كلمتي (عرّفا وشرفا)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (صلاته وصلاته)، وعلى حرف الدّال في كلمتي (سند ومفند) وعلى حرف الجيم الممدودة في كلمتي (المرتجى ومرتجا)، وعلى حرف النّون في كلمتي (من وأمن)، وعلى حرف الميم في كلمتي (مسلم ومعلم)، وعلى حرف النون في كلمتي (الحسن واللّسن)، وعلى حرف اللاّم الممدودة في كلمتي (علا وَعلا)، وعلى الميم الممدودة في كلمتي (سلما ومعلما)، وعلى الألف المقصورة في كلمتي (روى وغوى)، وعلى حرف التّاء في كلمتي (الشّريفة و وريفة)، وعلى حرف اللاّم في كلمتي (الشّمائل ومائل)، وعلى حرف الضّاد في كلمتي (رفض ونفض)، وعلى حرف الباء في كلمتي (طلب ومنقلب)، وعلى حرف التّاء المربوطة في كلمتي (السّعادة والإعادة)، وعلى حرف القاف الممدودة في كلمتي (المشرقا ومشرقا)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (التّسيار والدّيّار)، وعلى حرف الميم في كلمتي (الشّام واِحتشام)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (الأنهار والأزهار)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (العبير وَتعبير)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (الكليله ودليله)، (اِقتضاه واِرتضاه)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (المعتبر واختبر)، وعلى حرف النّون في كلمتي (النّعمان والرّحمان)، وعلى حرف الميم في كلمتي (القلم وعلم)، وعلى حرف الدّال في كلمتي (التلاد والأولاد)، وعلى التّاء المفتوحة في كلمتي (أبصرت وقصرت)، وعلى حرف الميم الممدودة في كلمتي (علما وحلما)، وعلى حرف الألف المقصورة في كلمتي (المرتضى والرضى)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (الحجار وجار)، (يذكر والمنكر)، وعلى حرف اللاّم في كلمتي (الكمال والجلال)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (ناصر والقاصر)، وعلى حرف الكاف في كلمتي (مالك وحالك)، وعلى حرف اللاّم في كلمتي (حنبل والأجمل)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (أرويه وتحويه) وعلى حرف الهاء في كلمتي (الإجازة وجازه)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (القصار والإعصار)[1] وعلى

[1] ينظر : أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 164، 165.

حرف الجيم في كلمتي (الدّرج وفرج)، وعلى حرف الميم في كلمتي (النوم ويوم) ، وعلى حرف الباء في كلمتي (الأرب والعرب)، وعلى حرف الميم في كلمتي (الأعلام والإسلام)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (زانه وميزانه)، وعلى حرف الرّاء في كلمتي (أخيار والأغيار)، وعلى حرف اللاّم الممدودة في كلمتي (أهلاً وسهلا)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (أبناؤه وبناؤه)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (الإجازة وإيجازه)، (الطنّانة وأفنانه)، وعلى حرف التّاء المفتوحة في كلمتي (أفرغت وسوّغت)، وعلى حرف الهاء في كلمتي (الإجابه وحجابه)، (رويته ورويته)، وعلى حرف النّون في كلمتي (الفنون والظّنون)، وعلى حرف الباء في كلمتي (المغرب ومغرب)، وعلى حرف اللام في كلمتي (مملول ومفلول)، (القليل والجليل)، وعلى حرف النّون في كلمتي (عن وَ عنّ)، وعلى حرف السّين في كلمتي (الأنفاس وفاس)، وعلى حرف التّاء المفتوحة في كلمتي (تلت وَعلت)، وَعلى حرف الميم في كلمتي (تستّم وَالمختّم) [1]، وهذا التّصريع الذي اِمتدّ إلى باقي الأبيات الأخرى، يدل من جهة على تمكّن(المقّري) وقدرته الشّعرية وسعة بحره، ومن جهة أخرى على تكلّفه كونه بالغ في اِستخدامه اِستخدامًا ملفت للنظر، لذلك نقول أن السّجع أو حتى التصريع قد اِنتشر في هذا الفن تحديدًا دون غيره من الفنون الأخرى ونقصد بذلك الرّسائل الدّيوانية والإخوانية والصّوفية وغدا ضرورة أسلوبية لابدّ منها لديهم، بل وجعلوها من مقوّمات النثر الرئيسة في هذا العصر.

(ب)– الجناس: هو "اِتفاق كلمتين في الهيئة واِختلافهما في المعنى"[2].

وهو نوعان:

- **معنوي:** وهو ما اِختلفت فيه الكلمتان لفظًا وتشابهت معنى.
- **لفظي:** وهو ما تشابهت فيه الكلمتان لفظًا واِختلفت معنى. وهو قسمان:

– جناس تام: وهو ما اتّفق فيه اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها، وترتيبها.

[1] ينظر : أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 166، 167.

[2] إنعام فوّال عكاري ، مرجع سابق، ص: 335.

– جناس غير تام: وهو ما اِختلفت فيه اللفظان في أعداد الحروف[1].

وقد كَثُرَ اِستخدام الجناس في الإجازات المنتقاة، وسنتناول معظم صور الجناس الواردة فيها، كما يلي:

– في إجازة (**عبد المؤمن الحسني الجزائري**) **لـ** (**ابن زاكور**) نجد الجناس في قوله: "...فاعتذرت إليه من التقصير، والباع القصير"[2]، حيث تشابهت كلمتي (التقصير والقصير) لفظًا واِختلفتا معنى وهو جناس ناقص لأنهما لم يتفقا في عدد الحروف، ونجد الجناس الناقص أيضا في قوله: "... وله الأجر التّام، والفضل السّابغ العام"[3]، حيث تشابهت كلمتي (التام والعام) لفظا واختلفتا معنى، أمّا عن كونه جناس ناقص فلأنهما لم يتفقا في أنواع الحروف.

– وفي إجازة (**قدورة لابن زاكور**) نجد الجناس في قوله: "...عن العلماء القائلين بها في جميع مقروءآتي معقولا ومنقولا"، وبالتحديد في الكلمتين(معقولا ومنقولا) وهو جناس ناقص؛ حيث لم يتشابها في نوع الحروف، ونجد أيضا الجناس في كلمتي(العلم والعلماء) ، وهذا النّوع من الجناس يسمّى جناس الاشتقاق؛ لأن كلا اللفظتان قد اشتركتا في الجذر الثلاثي (علم)، نجد الجناس النّاقص أيضا في كلمتي(المبّرات والمسرّات)، لأنّهما لم يتشابها في نوع الحروف.

كما نجد السّجع في قوله: "...المفصَّل لخصال الكمالات كل التحصيل، حائز قصبات السبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل"[4]، وهو جناس ناقص، حيث تشابهت كلمتي (التّحصيل والتّفصيل) في جميع الحروف ما عدا حرف الحاء والغاء، وطبقًا اِختلافهما في المعنى كذلك.

– أمّا في إجازة (**أحمد المقّري**) فنجده عمد إلى توظيف الجناس الناقص بكثرة في جل إجازته وسنوردها على النحو الآتي:

---

[1] ينظر: عبد المتعال الصعيدي، مرجع سابق، ص: 238.

[2] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص: 56.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] المصدر نفسه، ص: 71.

(الرواية، الغواية)، (زمن، الثمن)، (عرّفا، شرّفا)، (صلاته، صلاته)، (المرتجى، مرتجا)، (من، أمن) (مسلم، معلم)، (الحسن، اللّسن)، (علا، جلا)، (سلما، معلما)، (روى، غوى)، (المجد، مجدي) (الشريفة، وريفة)، (الشمائل، مائل) (رفض، نفض)، (الإبادة، الإعادة)، (المشرقا، مشرقا) (التيار،الديار)، (ماملأ، مأملا)، (العبير، تعبير)، (اِقتضاه، اِرتضاه)، (القلم، العلم)، (حلما، علما) (أخيار، الأغيار)، (أهلا، سهلا)، (أبناؤه، بناؤه)، (الإجازه، إيجازه)، (الإجابة، حجابه) (الفنون،الظنون)، (المغرب، مغرّب)، (شرحها، صرحها)، (مملول، مقلول)، (القليل، الجليل) (الأنفاس، فاس)، (المرتضى، الرضى)، (الحجار، جار)، (الكمال، الجلال)، (الدرج، الفرج) (النوم،اليوم)، (الأعلام، الإسلام)، (تلت، علت)[1].

ممّا سبق نخلص إلى أن كُتَّاب وأدباء هذا العصر قد عمدوا في كتاباتهم إلى الإغراق في اِستخدام المحسنات البديعية المشار إليها سابقًا، كون العصر اِستدعى ذلك، فعلى الرغم من أن اللغة التي اِستخدمها المجيزون (عبد المؤمن الحسني الجزائري وقدورة وأحمد المقري) في إجازاتهم هي لغة متداولة ومتواضع عليها بينهم وبين مجازيهم إلا أنّهم لم يجعلوا هدفهم ومرادهم العناية بالموضوع في حد ذاته وهو الإجازة قدْر اِهتمامهم بتنميق الألفاظ – التي نجدها في بعض الأحيان مبالغ فيها – لذا وجبَ أن لا يغيب على أذهاننا أن اِستخدام هذه المحسّنات، خاصة اللفظية منها، لابُدَّ أن يحدّده مَطْلَبُ توصيل الفكرة وبيان المعنى وجاذبية الصور الكلامية لا غير؛ بمعنى لا ينبغي أن يكون الإتيان بمثل هذه الجماليات هدفًا يسعى إليه المتكلم (المجيز) ويضعه نُصْبَ عينيه قبل كل عبارة وأخرى يهمُّ في تدوينها، وهنا نلمّح إلى الاعتناء بالجانب الشكلي على حساب المضمون والمحتوى أو بعبارة أخرى نقصد "الصّنعة اللفظية"، وهذا لم يقتصر على فن الإجازة لوحده بل مسَّ جميع الفنون النثرية التي شهدها هذا العصر كالرّسائل والخطب والمقامات وغيرها.

[1] ينظر : أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 167.

ثانيا: الصور البيانية:

إنّ علم البيان هو العلم الذي يبحث في الأساليب المختلفة التي تعبر عن المعنى الواحد بطرائق متعددة من تشبيه، اِستعارة، أو كناية وغيرها، وعلم البيان بها يوضّح الفروق بين الأساليب وميزان صحيح لنعرف أنواعها ، ودراسة أدبية للتقصّي عن كل أسلوب ونتبيّن سرّ البلاغة والجمال فيه.

1/- التشبيه:

يعرّف التشبيه على أنه: "الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى"[1]؛ أي نفهم من خلاله أن "شيئًا شارك غيره في صفة أو أكثر وتعقد هذه المشاركة بينهما بأداة كالكاف أو كأن أو نحوهما من أفعال مثل: يشابه، يماثل، يحاكي، ...إلخ"، فهو لون من ألوان التصوير الأدبي.

* **أركانه:** للتشبيه أربعة أركان وهي: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه.

* **أنواعه**[2]:

- **التشبيه الصريح (المؤكد):** هو تشبيه تذكر فيه جميع أركان التشبيه.
- **التشبيه البليغ:** هو تشبيه يأتي فيه الكاتب بالمشبه والمشبه به ووجه الشبه ويحذف الأداة.
- **التشبيه المجمل:** هو تشبيه يأتي فيه الكاتب بالمشبه والمشبه به والأداة ويحذف وجه الشبه.
- **التشبيه التمثيلي:** هو تشبيه يكون الشبه صورة منتزعة من متعدّد، أي تشبيه حالة بحالة أو تشبيه صورة بصورة أو هيئة بهيئة.
- **التشبيه الضمني:** هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان من التركيب".

[1] عبد المتعال الصعيدي، مرجع سابق، ص: 384.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص:385

أثناء تقصّينا عن هذا اللّون من ألوان علم البيان لم نجدْ له أثرًا في الإجازتين الأوليتين (إجازة عبد المؤمن الحسني الجزائري لابن زاكور) وإجازة (قدورة للمجاز نفسه)، بقدّر ما كان له نصيبًا من الإجازة الثالثة لـ (**أحمد المقري**)؛ الذي وظّفه في قوله:(الرجز)

" وَبَعْـــدُ فَـــالعِلْمُ عَظِـــيمُ القَـــدْرِ وَلَـــيْسَ مَـــنْ يَـــدْرِي كَمَـــنْ لاَ يَـــدْرِي"[1]

نجد التشبيه واضحًا في صدر البيت (العلم عظيم القدر)، حيث شبه العلم (المشبه) بالشيء عَظيم القدر (المشبه به) وذكرَ وجه التشبيه (العظمة) وحذف أداة التشبيه، كما نجد التشبيه البليغ أيضا في قوله: (وسيلة السعادة)، حيث شبه المقري الوَسيلة (المشبه) بالسعادة (المشبه به)، وأتى بوجه الشبه (الحل) وحذف أداة التشبيه، والتشبيه نفسه نجده في قوله: (أرجاؤه زاكية العبير)، حيث أتى بالمشبه (الأرجاء) والمشبه به (زاكية العبير) ووجه الشبه (الرائحة العطرة)، وحذف أداة التشبيه وكذلك في وقوله: (المطلب الجليل)؛ حيث أتى بالمشبه (المطلب) والمشبه به (الجليل) ووجه الشبه (المكانة العظيمة) وحذف أداة التشبيه، بالإضافة إلى التشبيه البليغ الوارد في العبارة التالية: (الثناء الأجمل) حيث أتى بالمشبه (الثناء) والمشبه به (الأجمل) ووجه الشبه (الجمال) وحذف الأداة.

– أمّا عن التشبيه الصّريح (المؤكّد) فنجده في قوله: (أنّهم كحلقة قد أفرغت)، حيث شبه العلماء (المشبه) بالحلقة المفرغة (المشبه به)، وأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه (الامتلاء).

إنَّ الغاية من ندرة توظيف التشبيه – ماعدا عند المقري – إنما مرده لشيء واحد وهو أن المجيزين لم يريدا بإجازتهما عقد المشابهات والمقارنة بين الأشياء، أو بالأحرى بين مجازهما (**ابن زاكور**) وغيرها من الأوصاف والصّفات، بل أرادا وضعه موضع الإيحاء والإخفاء والبحث عن المعنى المخفي وراء كل عبارة يقصدونها به . ولهذا كان توظيفهما للاستعارة والكناية أولى من توظيفهما للتشبيه.

[1] رحلة المقري، مصدر سابق، ص: 165.

2/– الاستعارة: هي الأخرى لون من ألوان البيان وأنواعه مثلها مثل التشبيه إلا أنها تختلف عنه في كونها "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[1]، أو بصورة أوضح هي "تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه".

ومن أنواعها:

– **اِستعارة تصريحية:** "وهي ما يصرّح فيها بلفظ المشبّه به.

– **اِستعارة مكنية:** وهي التي لا يصرّح فيها بلفظ المشبه به بل يُطْوي و يُرْمَزُ له بلازم من لوازمه ويُسْنَدُ إلى المشبّه"[2].

ولابُدَّ في الاستعارة من "اِعتبار ثلاثة أصول: مستعار، ومستعار منه، ومستعار له"[3].

فمن صور الاستعارة الموجودة في الإجازات المختارة على التوالي ما يلي:

– في إجازة (**عبد المؤمن الحسني الجزائري لابن زاكور**) نجد الاستعارة في قوله: "شهادة يضحّي بها العمل"[4]؛ حيث شبه العمل (المشبّه) بالإنسان الذي يضحّي (المشبّه به)، وأبقى على قرينة لفظية دالّة عليه هي (يضحّي)، على سبيل الاستعارة المكنية.

فيصبح بذلك التّضحية في المستعار، والمستعار منه هو الإنسان (الشّهيد)، والمستعار له هو العمل وقس على ذلك بقيّة الاستعارات الأخرى.

– أما في إجازة (**قدورة لابن زاكور**) فإنّنا لا نكاد نعثر على اِستعارات، لأنه وكما أشرنا آنفًا الإجازة موجزة اِكتفى فيها على ما هو ضروري للمجاز (اِبن زاكور) فقط دون أن يتعمّق في الصّور الجمالية إلا نادرًا وما وقع منه عفوا تلبية لمتطلّبات المقام.

لننتقل مباشرة إلى إجازة(**أحمد المقري**) ونستخرج أبرز الاستعارات الموجودة في إجازته الشّعرية، حيث يقول:

---

[1] عبد المتعال الصعيدي، مرجع سابق، ص: 475.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البيان، مؤسسة المختار، القاهرة – مصر، ط3، 1431هـ، ص: 169.

[3] ابن أبي الإصبع المصري ، مصدر سابق، ص: 306.

[4] اِبن زاكور، مصدر سابق، ص:56.

– "قلبي وعيني إذا بَلَغَتْ مأملا"[1] هي اِستعارة مكنية، حيث شبّه القلب والعين (المشبه) بالإنسان الذي يريد أن يبلغ أملاً ما (المشبه به)، وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه وهي الفعل (بلغ) على سبيل الاستعارة المكنية، فكان المستعار هو البلوغ، والمستعار منه هو الإنسان الطموح، والمستعار له هو القلب والعين.

– كما نجد اِستعارة مكنية في قوله: (**نال المُنى**)، حيث شبه المُنى وهو شيء معنوي (المشبه) بشيء مادي ينال كالهدية أو الشهادة (المشبه به)، وأبقى على لازمة من لوازمه وهي الفعل (نال) على سبيل الاستعارة المكنية.

– كذلك نجد اِستعارة مكنية في قوله: (قابلوا عيبي)، حيث شبه المقري العيب (المشبه) بالإنسان الذي يقابل (المشبه به)، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وترك قرينة لفظية دالة عليه وهي الفعل (قابل) على سبيل الاستعارة المكنية.

– وأيضا قوله: (حاوي طراف المجد)؛ حيث شبه المجد (المشبه) وهو شيء معنوي بشيء مادي يُحْوَى كالسوائل مثلاً (المشبه به)، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وترك لازمة من لوازمه وهي (حاوي) على سبيل الاستعارة المكنية.

– إضافة إلى الاستعارة المكنية جفي قوله: (التواضع الذي زانه)؛ حيث شبه التواضع (المشبه) بالحلي الذي يُتزيّن بها (المشبه به)، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وأبقى على قرينة لفظية دالة عليه وهي (زانه) على سبيل الاستعارة المكنية.

وأيضا في قوله: (جهلي سادلا حجابه)؛ حيث شبه الجهل (المشبه) بالستار الذي يسدل (المشبه به)، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وترك لازما من لوازمه (سادلاً) على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك في قوله: (طال القول)؛ حيث شبّه القول المشبّه بالحبل الذي يطول (المشبه به) فذكر المشبّه وحذف المشبه به، أبقى على قرينة لفظية دالة على سبيل الاستعارة المكنية.

[1] أحمد المقري، مصدر سابق، ص: 165.

إنَّ أهم ما يلاحظ هنا هو اِعتماد كلاًّ من (**عبد المؤمن الحسني الجزائري وأحمد المقري**) في تصويرهم البياني على الاستعارة المكنية كونها الأقرب في تشخيص المعنى ورسم صورة محسوسة له بحيث تنفث في الصّور الجمالية السّحر، كما أنّها تعتبر فنًّا من أفانين الكلام وضربًا من ضروب القول ولا يحسن توظيفها إلا مقتدر عالم مطلع على علم البيان وألوانه.

3/– الكناية: "وهي اسم جامع أطلق، وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى" [1]، و "هي من الأساليب البلاغية في التعبير، وتستعمل الكناية في الحياة العملية قولا وكتابة"[2]

وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- كناية عن صفة.
- كناية عن موصوف.
- كناية عن نسبة.

سنورد أهم صور الكناية الموظّفة من طرف المجيزين في إجازتهم واقفين على سر جمالها والأثر الذي تتركه في نفسية المتلقي (المجاز) وهي كالآتي:

– في إجازة (**قدورة لابن زاكور**) نجد الكناية في قوله: "حائز قصبات السبق...[3]، وهي كناية عن صفة الأسبقية، كما نجد كناية في قوله: العبد الفقير، وهي كناية عن صفة التواضع.

– أما في إجازة (**عبد المؤمن الحسني الجزائري**) للمجيز ذاته نجد الكناية في قوله: "**المرفوع قدْرُه** على جميع الخلائق"[4]، وهي كناية عن موصوف وهو شيد الخلق محمّد ﷺ، والكناية نفسها نجدها في قوله: "المعنعن خبر نعته **بأكمل الخلائق**"[5]، أي أنها كناية عن موصوف وهو أشرف الخلق

---

[1] ينظر: عبد الرحمن البرقوقي، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د، ط)، (د،ت)، ص:20.

[2] إبراهيم شمس الدين، مرجع الطلاب في تيسير الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط4،2011 ، ص:15

[3] ابن زاكور، مصدر سابق، ص:56.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

[5] المصدر نفسه، ص ن.

وأفضلهم خُلُقًا، كما نجد الكناية في قوله: "فإنه لَمَّا حلّ **حضرة الجزائر**"[1]، وهي كناية عن صفة التقدير والاحترام، كذلك الكناية في قوله: "الشهير علاّمة مصر، وحافظ العصر"[2]، وهي كناية عن موصف وهو أبو الحسن الشيخ البشرامّلسي .

– في إجازة (**أحمد المقّري لأولاد العمادي**) نجد الكناية في قوله: ملجأنا **المعصوم**، وهي كناية عن موصوف وهو النبي صلى الله عليه وسلم، كما نجد الكناية في قوله: مدحه قصرت، كناية عن صفة العجز (عجز اللغة عن التعبير عما يشعر به)، كذلك الكناية في قوله: رفعة وسؤددا، وهي كناية عن صفة رفعة المكانة، كما نجد الكناية أيضا في قوله: **الأخذ بالنّواصي**، وهي كناية عن موصوف ألا وهو يوم الحساب. وبهذا نكون قد اِنتهينا من رصد مختلف مواطن توظيف المجيزين لهذه الصورة البيانية.

يعود سبب توظيفها بهذا الشكل" لأنّها أتاحت للمجيزين آفاقا رحبة في ثراء الدلالة وتنوّع الأداء مما أدّى إلى نجاحهم في التعبير عن غرضهم المقصود بطريقة أبلغ إقناعا وأعظم تأثيرا من الخطاب الصّريح المباشر الذي يقف عاجزا عن الوفاء بذلك في كثير من الأحيان"[3]، بالإضافة إلى كونها أسلوبًا جميلاً من أساليب القول، ومظهرا من مظاهر البلاغة فيه، أما عن سرّ جمالها وبلاغة التعبير بها فيرجع إلى أنها تعطى السَّامع أو القارئ الحقيقة مصحوبة بالدليل عليها في إيجاز، كما أنها تبرز له الأمور المعنوية في صورة أشياء محسوسة، مما يخلق لدى القارىء تشوّقا لمعرفة المكنى عليه.

وعليه يمكننا القول بأن توظيف المجيزين للمحسّنات البديعية من طباق وتورية وجناس وسجع وتصريع قد حذوا حذو الشعراء والأدباء القدامى بأن اِختاروا منها ما يتناسب وينسجم مع

[1] ابن زاكور، مصدر سابق ، ص:56.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] بلقاسم رفرافي، شعر أبي العباس أحمد بن محمد المقري دراسة أسلوبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب واللغة، تخصص الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، 2013-2014، ص: 244.

موضوعاتهم مما أضفى على نصوصهم الإجازية رونقًا خاصًا وحلّة لبستها على غرار بقية الإجازات الأخرى التي عاصرتها وعاشت معها جنبًا لجنب.

وما توظيفهم لمختلف الصور البيانية كالاستعارة والكناية خاصة، إلاّ دليلا على سمّوهم بالمعنى، وارتفاعهم بالشعور إلى مستوى التعبير الفني – تعبيرا أقل ما يمكننا أن نقول عنه أنه قريب جدا من المستوى الذي لمسناه في غيره من النصوص الأدبية الأخرى –، والأداء الاستعاري والكنائي الإيحائي المكثّف الذي لا يثير المخيلة فحسب بل ينفذ إلى ذهن المتلقي فيعمل على كسر الحواجز والحدود بين الأشياء القديمة المصرّح بها و النظام الجديد الذي خلقه – المتلقي – منها أساسًا ليلتئمان مشكّلان صورة جديدة تستفزّ خياله من خلال الإحساس بها وما تنقله من اِنطباعات من المجيز إلى المجاز .

خـــاتمـــة

خاتمة:

وفي النّهاية وبعد جمعنا لكل هذه المعلومات الشاملة من مصادرها القيمة وبعد مدة من البحث والاطلاع والتفكير والتعقل في موضوعه ألا وهو "فن الإجازة الجزائرية في العهد العثماني"، وباعتباره موضوعا هادفا اهتم به الجميع وقلة هم من يطمعون لمعرفة تفاصيله والتعمق فيه، سعينا جاهدين للارتقاء به وضاعفنا الجهود من أجل إخراجه على المستوى المطوب، فصار شغلنا الشاغل هو الإلمام بكل ما يخص الإجازة، مركزين في ذلك على العناصر الفنية المتواجدة في الإجازات الثلاث على التوالي : **"إجازة عبد المؤمن الحسني الجزائري"، "إجازة قدورة"** و **"إجازة أحمد المقري"**، التي تراوحت بين النثر ونظم فنيين واتخاذ الأدبية حلة تطالها ، وإننا لا نزعم بذلك عدّ الإجازات جنسا أدبيا يضاف إلى الأجناس المعروفة في الأدب بقدر ما نصبو إلى محاولة إثبات قيمتها العلمية والعناصر الأساسة التي شكلت أدبيتها المرجوة ، وقد يتجلى ذلك واضحا من خلال النتائج الآتية:

– استمدت الإجازة أدبيّتها وجماليّتها من جلّ ما توفّرت عليه من محسنات بديعية بنوعيها اللفظية والمعنوية والصور البيانية والتي أضفت عليها رونقا وجمالا فنيين.

– توافر الطباق– خاصة الإيجاب منه– على مساحة شاسعة ليست بالقليلة وظهور بشكل متنوّع ومتلوّن في الإجازات الثلاث، ليضيفا لها ألوانا جديدة من خلال المفارقات التي لمسناها في الجمل المتضمّنة تضادّا، مفارقات ملائمة لواقع الحال.

– لقد ساهم الجناس الموظف في الإجازات أيّما مساهمة في التلوين الصوتي وإبراز القيم الموسيقية التي يرغب إليها المبدع (المجيز) في تحقيقها لكلامه، لذلك ألفناه وُظِّفَ بقوّة و بطريقة تلائم الصورة التي يصبو إلى تجسيدها في ذهن المرسَل إليه.

– توظيف السجع في الإجازات النثرية(إجازة عبد المؤمن الحسني الجزائري وإجازة قدورة) توظيفا ملفت للنظر ، يكشف عن التكلّف والصّنعة اللفظية التي طبعت العصر التي وجدت فيه، إلا أن توظيف (أحمد المقري) للتصريع بكثرة كان بسبب انسيّاق الشاعر وراء الأنغام الموسيقية وما يملكه من

ملكة شعرية وضلوع في اللغة وتحكّم في قواعد الشّعر، ممّا تولّد عنه نغما وتميّز خاص يستمتع به هو أوّلا والمرسَل إليه ثانيا، وما الإتيان به إلاّ لإبراز كفاءته الشعريّة ومقدرته اللغوية، على الرّغم من أنّه قد يعد –في بعض الأحيان–هو الآخر تكلفا إن كان متطلبا وغير عفوي.

– عزوف المجيزين عن توظيفهم للتشبيه إلاّ ما لمسناه عند(أحمد المقّري)، ولأنّ الغرض من توظيفه هو تقريب المعنى و إيضاحه، كان الأولى لهم تفاديه كون المعنى في الأصل واضحا لا يحتاج إلى توضيح، والاستعانة بالبديل والأنسب، أما بالنسبة لـ (لمقري) فقد عمد إليه قصد إقامة وشائج جديدة غير معهودة بين ماهيات الأشياء المتمثلة في الصورة التشبيهية البسيطة لتقريب المعنى وإيضاحه، وحتى يرسم من خلاله حقيقة الموقف الجمالي الذي يعانيه أثناء عملية الإبداع، ويجسّد أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه.

– إنّ اهتمام المجيزين بالصّورة الاستعاريّة، غرضه التّأثير في المرسَل إليه(المجاز) عن طريق إخراج المعاني المجرّدة إلى أشياء ملموسة محسوسة من وحي خيالهم، باحثين في ذلك عن القيمة الجمالية.

– أمّا الكناية فاكتشفنا سر حلاوتها وسحرها من خلال انصراف المجيزين الثلاث عن التعبير بالأصل والصّريح إلى ما هو أملح في القلوب وأعذب في النفوس ،لأنّ حسنها يتأتّى من خلال طريق المبالغة في الوصف، ممّا أدّى ذلك إلى تلوين الإجازات وتزيينها بلمسات فنية، بالإضافة أنها حققت الإيجاز والاقتصاد اللغوي فيها.

– وعليه كان لزاما أن نجزم بما لا يدع مجالا للشك بأن الإرث الإجازي عند المجيزين الثلاث يحفل بفنّية تعود أصولها وجذورها إلى مجال ثقافي واحد، هذا المجال موجود في مجال علمي عام مشترك بين المجيزين والمجازين أدبيا وعلميا في تلك الفترة (العثمانية)، تعارف عليه صنّاع الإجازة على العموم.

– وإن كنا اهتدينا إلى بعض العناصر الفنية للإجازات، فكل الفضل يعود إلى رحلتي (ابن زاكور) و(أحمد المقري) وغيرهم من هؤلاء الذين لم يتوانوا ولو للحظة في جمع الإجازات بين طيّات كتبهم إلى جانب جمع إرث استجازي لازال بكرا أرضا عذراء لم تطأها أقلام الباحثين إلا القلة النادرة منهم.

آملين أن يتطرّقوا إليه مستقبلا من جوانب أخرى لم يدق بابها بعد، ويبقى فن الإجازة إبحارا يحتاج إلى صبر وتحد للوصول، ولأن اللذة ليست في الوصول وإنما في متاعب الطريق يبقى لهذا البحث نقائص سيغطيها من يأتي بعدنا إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع

قـائمة المصار والمراجع:

I. المصادر:

1. أحمد المقّري (أبو العباس)، رحلة المقَّري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمّر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد– الجزائر، 2004.

2. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، ج2، دار صادر – بيروت، 1988.

3. ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حقي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د، ط)، 1963.

4. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح وتق: رضوان الداية وفايزة الداية، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط1، 2008.

5. أبو حسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح وتق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، (د، ط)، 2008.

6. ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، الوجازة في الأثبات والإجازة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – السعودية، ط1، 2008.

7. ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهير البستان في من أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية، الجزائر، (د، ت)، 2011.

8. أبو زكريا يحي بن شرف الدين النووي ، التبيان في آدابْ حملة القرآن، تح: محمّد الحجّار، دار إبن حزم، بيروت – لبنان، ط4، 1996.

9. شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دراسة وتح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخُضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فَهَيْد، مج2، مكتبة دار المنهاج، الرياض – السعودية، ط1، 1426هـ.

10. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د، ط)، (د، ت).

11. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و وأولاده – مصر، (د، ط)، (د، ت).

12. أبو الفَضل عياض بن موسى بن عياض عمرون اليحصبي السبتي ، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تح: أحمد صقر، دار التراث (المكتبة العتيقة القاهرة)، تونس، ط1، 1970.

13. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، (د،ط) ،1906 .

14. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، بدران وشركاؤه، بيروت – لبنان، (د، ط)، 1964.

15. محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهابية، (د، ط)، 1284هـ.

16. أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.

II. المراجع:

17. إبراهيم شمس الدين، مرجع الطلاب في تيسير الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 4، 2011.

18. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر مكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية و الغاية والاجتماعية، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

19. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، (د، ط)، 1956.

20. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار، القاهرة – مصر، ط3، 1431هـ.

21. حمدان بن عثمان خوجة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، المرآة، منشورات ANEP، (د، ط)، 2005.

22. صفي الدين حلي، تح: نسيب نشاوي، شرح الكافية البديعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ت).

23. عبد الرحمن البرقوقي، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د، ط)، (د، ت).

24. عبد الرؤوف بن المنوي، تح: عبد الحميد صالح حمدان، التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1990.

25. عبد الله فيّاض، الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد – العراق، ط1، 1967.

26. عبد الله كنّون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، قراءة وتعليق عبد السلام، معرض الكتاب، ط2، (د، ت).

27. عبد المتعال الصّعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 1، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر،(د، ط)، 2005.

28. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (د، ط)، 1997.

29. عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشام: عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية، دمشق – سوريا، ط2، 1972.

30. عموره عامر، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، القبة – الجزائر، ط1، 2002.

31. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1990.

32. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي [1500-1830]، دار المغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1998.

33. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي)، دار الحضارة، الجزائر، (د، ط)، 2006.

34. ياسر إبراهيم المزروعي، تقريظ عبد الحكيم عبد اللطيف، عبد الله الأزهري، تق: محمد نعيم الزّغبي، التبيان لمن طلب إجازة القرآن، مكتبة المنار الإسلاميّة، القاهرة – مصر، ط1، 2003.

III. المعاجم:

35. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (جَوَز)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د، ط) .

36. عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، تح: إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2، 1982.

37. مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، تح : مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 2005.

38. إنعام فوّال عكّاري، مراجعة: أحمد شمس الدين، المفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1996.

39. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر، نويهض الثقافية لتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط2، 1980.

40. محمد الجرمي، معجم علوم القرآن: علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات، دار القلم، دمشق – سوريا، ط1، 2001.

IV. الرسائل الجامعية:

41. بلقاسم رفرافي، شعر أبي العباس أحمد بن محمد المقري دراسة أسلوبية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب واللغة، تخصص الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة، 2013-2014.

42. فضيلة عماري، في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقّري التلمساني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران – السانيا ، 2009-2010 .

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة.....	أ–د
مـدخل: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني	**17-6**
1/– الأوضاع السياسية.....	6
2/– الأوضاع الاقتصادية.....	8
3/– الأوضاع الاجتماعية.....	11
4/– الأوضاع الثقافية.....	12
الفصل الأول: نظام الإجازة أركانها، أنواعها، بناؤها	**36-18**
1/– تعريف الإجازة (لغة واصطلاحا).....	19
(أ)– لغة	19
(ب)– اصطلاحا	20
2/– أركان الإجازة وشروطها	23
(أ)– المجيز	23
(ب)– المجاز	25
(ج)– المجاز به	28
3/– أنواع الإجازات	28
4– هيكل الإجازة وبناؤها	32
5– بعض علماء العصر العباسي من الجزائريين.....	34
الفصل الثاني: التشكيل الهيكلي لنظام الإجازة	**57-38**

1/– المقدّمة	**39**
2/– العرض.....	**46**
(أ)– بناء تمهيدي	**47**
(ب)– البناء الاستجازي	**49**
(ج)– البناء الإجازي.....	**51**
3/– الخاتمة	**55**
(أ)– الختم	**56**
(ب)– التاريخ.....	**57**
الفصل الثالث: البناء الفني للإجازة	**80–59**
أولا: المحسنات البديعية	**60**
1/– محسنات معنوية	**60**
(أ)– المطابقة	**60**
(ب)– التورية	**63**
2/– محسنات لفظية	**65**
(أ)– السجع	**65**
(ب)– الجناس.....	**69**
ثانيا: الصور البيانية	**72**
1/– التشبيه	**72**
2/– الاستعارة	**74**
3/– الكناية	**76**

خاتمة	82-80
قائمة المصادر والمراجع	89-84
فهرس الموضوعات	93-91

ملخص:

يعد هذا البحث محاولة لرصد العناصر الفنية الكامنة في الإجازات الثلاث لعبد المؤمن الحسني الجزائري و قدورة وأحمد المقري، من خلال مقدمة مدخل وثلاثة فصول، فالمدخل الموسوم بـ: "**أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني**" وأهم ما ميزها، أما الفصل الأول فكان تحت عنوان: " **نظام الإجازة: أركانها، أنواعها، بناؤها**"، وحكي بعض علماء الجزائر المجيزين في العصر العثماني الذين كان لهم الأثر البالغ في تدوين الإرث الاستجازي ووصوله إلينا، ليليه الفصل الثاني الذي وسمناه بـ: "**التشكيل الهيكلي لنظام الإجازة** "، حيث إتضح لنا أن الإجازات الثلاث قامت على هيكل بنائي واحد متكون من مقدمة وعرض وخاتمة، ثم الفصل الثالث المعنون بـ: "**البناء الفني للإجازة**" الذي بيَّنا من خلاله أبرز المحسنات البديعية والصور البيانية التي حفلت بها الإجازات الثلاث مع إبراز سر بلاغتها وأثرها على المعنى والتي أضفت عليها فنية وأدبية خاصتين، أما الخاتمة فلقد حاولنا أن نسجل أهم النتائج التي خلصنا لها.

الفرنسية:

Cette recherche est une tentative de surveiller les éléments artistiques des trois jours fériés de Abdulmomen al-Hassani al-JAZRI, Qadahad et Ahmed Al-makeri, par l'introduction d'une porte et de trois chapitres, l'entrée marquée par: "les circonstances de l'Algérie pendant l'époque ottomane" et le plus important de celui-ci, le premier chapitre a été intitulé: "système Leave: ses piliers, types, construits ", et les paroles de quelques érudits algériens de l'époque ottomane qui ont eu l'impact profond sur la codification de l'héritage réactif et son arrivée dans la nuit du deuxième chapitre, que nous avons marqué avec: " quitter la configuration structurelle du système ", où il s'avère que les trois vacances ont été Une structure structurelle consistant en introduction, présentation et la conclusion, puis le chapitre III, intitulé: "bâtiment technique pour le congé", par lequel le plus important de la graisse et graphique les trois jours fériés, soulignant le secret de leur éloquence et leur impact sur la signification, qu'ils ont ajouté à eux, soit Conclusion nous avons essayé d'enregistrer nos conclusions les plus importantes.

بالانجليزية

This research is an attempt to monitor the artistic elements of the three holidays of Abdulmomen al-Hassani al-Jazri, Qadahad and Ahmed al-Makeri, through the introduction of a doorway and three chapters, the entrance marked with: "The circumstances of Algeria during the Ottoman era" and the most important of it, the first chapter was titled: "System Leave: Its pillars, types, built ", and the words of some Algerian scholars of the Ottoman era who had the profound impact on the codification of the responsive inheritance and its arrival in the night of the second chapter, which we have marked with: " Leave system structural Configuration ", where it turns out that the three vacations have been One structural structure consisting of introduction, presentation and conclusion, and then chapter III, entitled: "Technical building for Leave", through which the most prominent of the fat and graphic the three holidays, highlighting the secret of their eloquence and their impact on the meaning, which they added to them, either Conclusion we have tried to register our most important findings.